

يوم الأول ١٨٨٢

— 222 —

لِلإِمِيرِ
عَمْرٍو طُوسُونُ

١٣٥٣ - ١٩٣٤ م

— 11 —

مطبعة صلاح الدين بالأسكندرية

الامير عبد العزيز

سید مرثیہ علی صاحب الفداء علیہ الرحمۃ علیہ السلام
وہ رازِ اعلیٰ سے ایسا شخصیات

يوم الابرار ١٨٨٢

لِلإِمِيرِ
عَمَرِ طُوسُونِ

١٣٥٣ هـ - ١٩٣٤ م

مَطْبَعَةُ صَيَّاحِ الدِّينِ بِالْأَسْكَنْدَرِيَّةِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة

يقبل علينا شهر يوليه من كل سنة فيذكرنا باليوم الأسود يوم ١١ منه ذلك اليوم الذى داست فيه انكلترا المعاهدات الدولية وتعلقت بأوهى الأسباب وضربت مدينة الاسكندرية . فافترت بذلك سبة الاعتداء على أمة لم يكن بينها وبينها إلا السلام واجترحت اثم التهجم على بلاد لم تناوئها الحرب ولم تبادئها بالعدوان والخصام .

ومن رأينا أنه لايجدنا شئ اكثر من ذكريات تاريخنا وأن الجدد لنا كل الجدد فى استثارة دقات هذا التاريخ والاعتبار بتلك الذكريات حلوها ومرها . فاذا قلبنا صفحاته ورأينا فيها صفحة مجيدة نشرناها لأنها تحيى فينا روح الأمل بعودة ماضينا . وان كانت الأخرى وألفيناها صفحة سوداء لم نطو دونها كشفا ولم نضرب عنها صفحا لأننا لو سترناها وأغصنا الطرف عنها أمسينا فى عمائة ولم نعرف أخطائنا فكان ذلك مدعاة لبقاتنا فى غفلتنا سادرين وسبيا فى جهلنا بعللنا الخلقية وأمراضنا الاجتماعية أبد الأبدن .

نعم ضربت انكلترا بمدافع أسطولها حصون مدينة الاسكندرية
وتغلبت عليها وترتب على ذلك ما ترتب من الاحتلال وما جره وراءه
من النتائج الخطيرة التي لا زلنا نعانى شدايدها ونقاسى أهوالها ونكتوى
بنارها . وهذا كله أمر معروف مفروغ منه . ولكن ماهى الأسباب
التي حملتها على هذا العدوان ؟ وما هى الحالة التي كانت عليها حصون
مدينة الاسكندرية ؟ وهل كان فى امكانها مقاومة هذا الاسطول ؟
وهل كانت قواهما متفاوته ؟ وما مقدار هذا التفاوت ؟ وهل قام
الجيش المصرى المربط فى هذه الحصون بواجبه الوطنى فى الذود عن
البلاد والدفاع عن هذه الحصون حتى النفس الأخير ؟ وهل كان
فى مقدور ساستنا وأولى الرأى والأمر فىنا تغيير موقف انجلترا
العدائى ؟ وما الذى حال بينهم وبين هذه السياسة القويمة الحكيمة ؟ ثم
على من تقع بعد ذلك تبعه تخريب هذه الحصون وقتل هذه
الأنفس العزيزة وضياع البلاد ؟ هذه كلها أمور تمر بخاطر الناس
وخاطر المصريين خاصة ولكنهم لا يجدون عنها جوابا . فأردنا
أن نكتب هذه الرسالة فى هذا الموضوع لندعو بها المصريين
الى تذكر يوم ١١ يولييه سنة ١٨٨٢ حتى يخطر دائما ببالهم
ويمتزج بأنفسهم ويكون نصب أعينهم فى ليلهم ونهارهم . ثم لنجاول
هذه الأمور الغامضة ولنكون على بينة من الأسباب والنتائج
ولنستخلص من كل ذلك العبرة التاريخية لتكون لنا تذكرة
نتفجع بها فى حاضرتنا ومستقبلنا وانما يتذكر أولو الألباب ؟

عمر طوسون

حصون مدينة الاسكندرية

١ - من قبل الفتح الاسلامى الى حكم المماليك

كانت مدينة الاسكندرية أوسع رقعة قبل الفتح الاسلامى منها بعد هذا الفتح ، وكانت دائرة أسوارها القديمة المحيطة بها أكبر من دائرة سورها فى حكم العرب .

ذلك أنها كانت عاصمة المملكة المصرية منذ أسسها الاسكندر الأكبر الى أن فتحها العرب ، لجأت عنها عساكر الرومان وأسرههم وحكامهم وكثيرون من النازلين بها من طوائف الأمم المختلفة ، خصوصاً بعد أن فتحت الفتح الثانى فى عهد خلافة عثمان ابن عفان رضى الله عنه ، وبعد أن اتخذت مدينة القسطنطين عاصمة للديار المصرية واكتظت بالسكان.

وكانت فى عهدها القديم مدينة منيعة حصينة غاية الحصانة مشهورة بأسوارها العديدة وخنادقها العميقة وأبوابها المحكمة وأبراجها الكثيرة الباذخة وحصونها العديدة الشاحخة .

ولقد عانى العرب فى فتحها شدائد وأهوالاً وظلوا فى حصارها ومهاجمتها أربعة عشر شهراً ، يصبحونها ويمسونها بالغارة تلو الغارة حتى فتحها الله عليهم ، فهاهم مارأوه فيها من وثيق البنيان وكثرة السكان ، وعظيم الحضارة والعمران ، وفسيح الميادين ، وعجيب الملاعب والعمد والأساطين ، وغرائب المباني والقصور ، ووفرة الحوانيت والأسواق

والدور، وروائع المسلات والعمارات والهياكل والكنائس والخانات .
ولما ظنوا أنها دانت لهم اتخذوا بها رابطة وشحنوها بمقاتلتهم،
وعاد الفاتحون مع أميرهم عمرو بن العاص الى داخلية البلاد ،
وتفرقوا في أنحائها واتخذوا القسطنطين داراً لآمارتهم . وظلت الحال
على ذلك ردحاً من الزمن .

فلما كانت خلافة عثمان بن عفان رضى الله عنه عزل عنها
عمرا واستعمل عليها بدلا منه عبد الله بن سعد بن ابى السرح فلم يلبث على
ولاية هذا ايام حتى ثارت الاسكندرية على حاميتها فقتلوا واستولوا على
مرابطها وكانوا قد كتبوا بذلك الى ملك الروم فأرسل اليهم المقاتلة والامداد
فلكوا المدينة وخرجوا منها لقتال المسلمين والاستيلاء على الريف ثم
على سائر مصر وعند ذلك طلب المسلمون من الخليفة أن يعيد اليها
عمرا لأن له هبة في صدورهم ومعركة بحريتهم . فأعاده اليها وعادت
الحرب بينه وبينهم وكانت حرباً شعواء كتب الله النصر فيها للمسلمين وقد
حلف عمرو لئن فتح الله عليه مدينة الاسكندرية لهدم حصونها
وأسوارها . فلما فتحها الله عليه برّ بقسمه وسواها بالأرض ،
حتى لا تعود فتنتقض على المسلمين مرة أخرى ويعتصم مقاتلتها
بأسوارها وحصونها .

وفي هذا الفتح الثانى استحر القتال بين عمرو والروم
بالقرب من باب السدره فقتل منهم مقتلة عظيمة ، ولما رأى
القتل قد استحر فيهم أمر برفع السيف عنهم رحمة بهم ،

وأُسِسَ في هذا المكان مسجداً أسماه (مسجد الرحمة) وهو المسجد المعروف الآن بمسجد العمري عند تقابل شارع أبي الدرداء بشارع الخديو الأول . وكان هذا المسجد أكبر مما هو عليه الآن كثيراً .

ثم في أثناء ولاية أحمد بن طولون على مصر عندما استقل بها في نحو سنة ٢٦٥ هـ (٨٧٨ م) أحاط الاسكندرية بسور جديد خوفاً من غارة عسكر الخليفة عليها . ويقال إن هذا السور هو الذي بقى إلى أن دخلها الفرنسيون كما يقال أيضاً أنه تهدم وأنه بنى ثانياً في أيام حكم المماليك البحرية وأن هذا هو الذي بقى عند مجيء الحملة الفرنسية .

واليك النصوص التي استندنا إليها في هذا الشأن :-

قال ابن عبد الحكم المتوفى سنة ٢٥٧ هـ (٨٧١ م) في كتابه (فتوح مصر ص ٤٢) :-

كانت الاسكندرية ثلاث مدن بعضها إلى جنب بعض - مئة وهي موضع المنارة وما والاها ، والاسكندرية وهي موضع قصبة الاسكندرية اليوم ، ونقطة . وكان على كل واحدة منهن سور وسور من خلف ذلك على الثلاث مدن يحيط بهن جميعاً - ثم نقل عن طريف الهمداني أنه كان على الاسكندرية سبعة حصون وسبعة خنادق . اهـ

وجاء في خطط المقرئى المتوفى سنة ٨٤٥هـ (١٤٤١ م)
ج ١ فى آخر الكلام على مدينة الاسكندرية مانصه :-

وكان بناء الاسكندرية طبقات وتحتها قناطر مقنطرة
عليها دور المدينة يسير تحتها الفارس ويده رح لا تضيق به
حتى يدور جميع تلك الآزاج والقناطر التى تحت المدينة . وقد عمل
لتلك العقود والآزاج مخاريق ومتنفسات للضياء ومنافذ للهواء - إلى أن
قال - وكان عليها سبعة أسوار من أنواع الحجارة المختلفة
الألوان بينها خنادق وبين كل خندق وسور فصول . اهـ

وقال ابن عبد الحكم فى كتابه الآنف الذكر ص ٨٠ :

لما هزم الله تبارك وتعالى الروم وفتح الاسكندرية وهرب
الروم فى البر والبحر خلف عمرو بن العاص بالاسكندرية ألف
رجل من أصحابه ومضى عمرو ومن معه فى طلب من هرب من
الروم فى البر . فرجع من كان هرب من الروم فى البحر الى
الاسكندرية فقتلوا من كان فيها من المسلمين إلا من هرب
منهم . وبلغ ذلك عمرو بن العاص فكر راجعا ففتحها . اهـ

وهذا النص يتعلق بفتحها الأول .

وجاء فى الصفحة ٨٢ منه :-

وكتب عمرو بن العاص بعد ذلك إلى عمر بن الخطاب
رضى الله عنه - أما بعد ، فاني فتحت مدينة لأصف ما فيها غير

أنى أصبت فيها أربعة آلاف بنية بأربعة آلاف حمام وأربعين ألف يهودى غلبهم الجزية وأربعائة ملهى للملوك .

وعن أبى قبيلى أن عمرا لما فتح الاسكندرية وجد فيها اثنى عشر ألف بقال يبيعون البقل الأخضر . وعن محمد ابن سعيد الهاشمى قال : ترحل من الاسكندرية فى الليلة التى دخلها عمرو بن العاص أو فى الليلة التى خافوا فيها دخول عمرو سبعون ألف يهودى - إلى أن قال - وكان عدة من بالاسكندرية من الروم مائتى ألف من الرجال فلقق بأرض الروم أهل القوة وركبوا السفن وكان بها مائة مركب من المراكب الكبار فحمل فيها ثلاثون ألفا مع ماقدروا عليه من المال والمتاع والأهل وبقي من بقى من الأسارى من بلغ الخراج فأحصى يومئذ ستمائة ألف سوى النساء والصبيان . اهـ

وجاء فى الصفحة ١٣٠ منه :-

لما استقامت للسليدين البلاد قطع عمرو بن العاص من أصحابه لرباط الاسكندرية ربع الناس وربع فى السواحل والنصف مقيمون معه . وكان يصير بالاسكندرية خاصة الربع فى الصيف بقدر ستة أشهر ويعقب بعدهم شاتية ستة أشهر . وكان لكل عريف قصر ينزل فيه بمن معه من أصحابه واتخذوا فيها أنخاند . اهـ

وجاء فى الصفحتين ١٧٥ و ١٧٦ منه :-

كانت الاسكندرية انتقضت وجاءت الروم عليهم منويل
الخصى فى المراكب حتى أرسوا بالاسكندرية فأجابهم من بها من الروم
ولم يكن المقوقس تحرك ولا نكث . وقد كان عثمان بن عفان
عزل عمرو بن العاص وولى عبد الله بن سعد . فلما نزلت الروم
الاسكندرية سأل أهل مصر عثمان أن يقر عمرا حتى يفرغ من
قتال الروم فان له معرفة بالحرب وهيئة فى العدو ففعل . وكان
على الاسكندرية سورها فخلف عمرو بن العاص لئن أظهره الله عليهم
لهدم سورها حتى تؤتى من كل مكان - إلى أن قال - وقتلهم عمرو حتى أمعن فى
مدينتهم فكلم فى ذلك فأمر برفع السيف عنهم وبنى فى ذلك الموضع الذى
رفع فيه السيف مسجد وهو المسجد الذى بالاسكندرية الذى يقال له مسجد
الرحمة وإنما سمي مسجد الرحمة لرفع عمرو السيف هنالك ، وهدم سورها كله . اهـ
وهذا النص يتعلق بفتحها الثانى .

وقال على باشا مبارك فى خطه ج ٧ ص ٤٣ :-
وفى القرن التاسع من الميلاد اعنى بعد فتح مصر
بقرنين أيام خلافة المتوكل وهو العاشر من بنى العباس والثانى
والثلاثون من الخلفاء بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، هدم
أحمد بن طولون الأسوار القديمة (١) وبنى غيرها فما كان جهة البحر

(١) - لا يفتق هذا مع النص الذى ذكرناه سابقا إلا أن يكون المراد أنه هدم أساس أسوارها لأن
أسوارها هدمت على يد عمرو بن العاص بعد انتفاضها وفتحها الثانى كما ذكره ابن عبد الحكم .
وفى رأينا أن حمرا اتما هدم أسوارها التى كانت تعوق فتحها وهى أسوارها من ناحية البلد وتركه
أسوارها البحرية على ما كانت عليه . وبذلك يستقيم الكلام هنا وفيما يأتى .

والغرب بقى على ماكان عليه مع بعض تغيير . وأما ماكان من الجهة الشرقية والجهة القبليّة فقد دخل كثيرا لخراب هاتين الجهتين وذكر بعضهم أن ابن طولون إنما عمر الأسوار القديمة فقط ثم في سنة ١٢١٢ م اعترى المدينة والأسوار تخرب فاحش فبنى أحد من تولى على تحت الديار المصرية بعد صلاح الدين أسوارا آخر وهى التى بقيت الى دخول الفرنساوية .

ثم قال :-

وبهذا الانتقال كانت مساحة المدينة فى زمن ابن طولون أقل من نصف مساحتها فى زمن الرومانيين وبقيت على ماوضعها عليه ابن طولون الى زمن دخول الفرنساوية لكنها على حسب الأزمان والأحوال كانت أخذت فى التخرب . وفى سنة ١٧١٨ م بناء على ماذكره مابى قنصل فرنسا فى ذاك الوقت فى وصف اسكندرية كان التخرب قد اعتراها وغير معالمها حتى صار لا يوجد فى مدينة العرب أكثر من مائة بيت وتحول غالب الناس الى ساحل الميناء وبنوا منازلهم فوق الأرض التى حدثت من انحسار البحر فى محل السبع غلوات وهجرت مدينة العرب بالكلية فكانت خرابا ببقعا لا يأتى إليها إلا أشقياء الناس . وتلك البلد التى حدثت بنيت باقتاض مدينة الاروام . وعلى هذا كان الخراب ممتدا من مكان مدينة كانوب (ابو قير) إلى باب العرب (بالمكس) على ساحل البحر ، ومن جهة الأرض الى ساحل البحيرة وخليج

اسكندرية . وكان لايزيد عدد أهل البلد الجديد عن أربعة آلاف نفس . ١ هـ

٢ — فى أواخر حكم الممالك الجراكسة

قال خليل بن شاهين الظاهرى حاكم الاسكندرية فى عهد السلطان الاشرف برسباى من سلاطين دولة الممالك الجراكسة والمتوفى سنة ٨٥٠ هـ (١٤٦٨ م) فى كتابه (زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك) ص ٣٩ فى الكلام على ثغر الاسكندرية وحصونه مانصه : —

فصل فى ذكر ثغر الاسكندرية

وهو أجل ثغور الاسلام وأعظمه يشتمل على سورين محكين بهما عدة أبراج يحيط بها خندق يطلق فيه الماء من البحر المحيط عند وقت الضرورة وللثغر عدة أبواب محكمة حتى أن على كل باب منها ثلاثة أبواب من حديد وبأعلى الأبراج مناجيق ومكاحل . وفى وقت الضرورة يعلق على كل شراقة قنديل . وهذا الثغر فى غاية التحصين وعلى كل برج منه أعلام وطبلخاناه وأبواق وحرسية يشهر ذلك وقت الضرورة . ١ هـ

٣ — قبل حكم محمد على

كانت حصون مدينة الاسكندرية عند قدوم الحملة الفرنسية عبارة عن سور يحيط بها فيه أبراج ومزاغل ومراعى للنار وحوله خندق يصل اليه ماء البحر الملح .

وهذا السور كان يسمى سور العرب لأنه بنى فى زمن حكمهم وهذه حقيقة لا ريب فيها لأن دائرة هذا السور كانت أضيق كثيرا من دائرة مدينة البطالسة أى الاسكندرية القديمة عند استيلاء العرب عليها .

وليك تخطيط سور العرب المذكور :-

الجهة الشمالية منه

كان السور يتبدى فى هذه الجهة من موقع الباب رقم (١٠) من أبواب مخازن الجمارك الحالية أمام شارع البحرية ويمتد فى استدارته إلى ناحية الشرق مسافة قدرها ٣٤٠ مترا حيث كان يوجد فى نهاية هذه المسافة منه باب يدعى (باب البحر الغربى) - الباب الأخضر - وموقعه الآن عند تقابل شارع الطوبجية بشارع الباب الأخضر . ثم يمتد فى استدارته أيضا إلى ناحية الشرق مسافة أخرى قدرها ٣٥٠ مترا إلى أن يقطع شارع دانسطاسى . ثم ينحرف إلى الجنوب قليلا ويمتد مسافة قدرها ١٠٠ متر . ثم ينكسر متجها إلى ناحية الشمال ويمتد مسافة قدرها ١٥٠ مترا حتى يصل إلى نقطة موقعها الآن وراء المحكمة المختلطة بقدر ٦٠ مترا تقريبا . ثم يعتدل مشرقا مسافة قدرها ١٠٠ متر حيث كان يوجد فى نهاية هذه المسافة منه باب يدعى

(باب البحر الشرقى) كان موقعه بالقرب من تقاطع شارعى مسجد العطارين والسبع بنات الآن . ويمتد مسافة أخرى فى هذا الاتجاه قدرها ٢٢٠ مترا حيث موقع البورصة الآن . ثم ينكسر مرة أخرى متجها الى الشمال مسافة قدرها ١٨٠ مترا مخترقا شارع البورصة القديمة الى نقطة تقابله بشارع سعد زغلول . ثم يعود فيعتدل الى ناحية الشرق الشمالى بمتدا مسافة قدرها ٥٨٠ مترا تقريبا حتى يصل الى موقع محطة الرمل الآن . ثم يرجع فينكسر الى ناحية الجنوب بمتدا مسافة قدرها ٣٢٠ مترا غربى شارع المسلة بمقدار ٣٠ مترا ثم يعتدل مرة أخرى الى ناحية الشرق ويكون حينئذ فى شمال شارع السلطان حسين كامل الآن وعلى بعد ٣٠ مترا منه بمتدا مسافة قدرها ١١٠٠ متر حتى يصل الى موضع حدائق البلدية الآن من شارع بلجيكا .

الجهة الشرقية منه

هذه الجهة تبتدىء عند تقاطع شارعى بلجيكا والسلطان حسين كامل فى موضع حدائق البلدية الآن ويتجه السور من هذه الجهة نحو الجنوب بمتدا مسافة قدرها ٢٣٠ مترا تقريبا حيث كان يوجد فى نهاية هذه المسافة منه باب يدعى (باب رشيد) أو الباب الشرقى . ثم يمتد مسافة أخرى فى هذا الاتجاه قدرها ٣٠٠ متر تقريبا حتى يصل إلى موقع شارع الأمير عبد القادر الحالى .

الجهة الجنوبية منه

هذه الجهة من السور كانت تبتدىء من الجهة الشرقية الجنوبية . ثم يمتد السور منها ناحية الغرب مسافة قدرها ١٠٠٠ متر

تقريبا حتى يصل الى موقع محكمة العطارين الجزئية الآن . ثم
يميل إلى ناحية الشمال قليلا بممتدا مسافة ١٠٠ متر حتى يصل الى جنوب
كوم البكة . ثم ينحرف الى ناحية الجنوب قليلا بممتدا مسافة قدرها
٢٧٠ مترا إلى أن يصل إلى موقع محطة مصر القديمة حيث كان يوجد
في نهاية هذه المسافة منه باب يدعى قديما باسم (باب الصوري) ثم
دعى بعد ذلك باسم (الباب الجديد) و (باب محرم بك) . ثم يمتد
مسافة أخرى في هذا الاتجاه قدرها ٣٥٠ مترا الى أن يصل الى مبتدأ
موقع شارع الخديو الأول ثم يعتدل إلى ناحية الغرب بممتدا مسافة قدرها
٣٥٠ مترا في امتداد شارع الخديو الأول حيث كان يوجد في نهاية
هذه المسافة منه باب يدعى (باب سدره) أو (باب العمود) وموقعه
الآن عند تقاطع شارعى عمود السوارى والخديو الأول . ثم يمتد في
هذا الاتجاه مسافة أخرى قدرها ٩٧٠ مترا الى أن يصل الى موقع بورصة
ميناء البصل الحالية ويدور حولها ممتدا في استدارته مسافة قدرها
٢٤٠ مترا تقريبا الى أن يصل الى ترعة المحمودية .

الجهة الغربية منه

تبتدى هذه الجهة من السور المذكور من جنوبى
هويس ترعة المحمودية الواقع أمام شون الاقطان ويمتد
السور منها متجها الى الشمال مسافة قدرها ٣٥٠ مترا حيث
كان يوجد في نهاية هذه المسافة منه باب يدعى
(باب المغارات) وموقعه الآن بشارع الكوبرى القديم

أمام مكابس الأقطان . ثم يمتد في هذا الاتجاه مسافة قدرها ٨٠ مترا . ثم ينكسر متجها قليلا الى ناحية الشمال الغربى تمتد في هذا الاتجاه مسافة قدرها ٣٠٠ متر حيث موقع رصيف جمر ك المحمودية الآن . ثم يعتدل الى ناحية الشمال تمتد مسافة قدرها ١٠٠ متر مارا بموقع مخازن الجمر ك الآن ثم يستدير نحو الشرق قليلا مع اتجاهه الى ناحية الشمال تمتد في هذا الاتجاه مسافة قدرها ٢٥٠ مترا مارا بمواقع مخازن جمر ك الاسكندرية ومكتب البريد حيث ينتهى بالقرب من مواقع مخازن الدخان الآن غربى شارع البحرية . أى عند بدايته في موقع الباب رقم (١٠) الأنف الذكر .

ومن هذا الوصف يعرف أن جزءا من مدينة الاسكندرية الحالية كان موجودا وقت مجيء الحملة الفرنسية ولم يكن داخل هذا السور وهذا الجزء هو الواقع شمال هذا السور بين الميناء الشرقية والميناء الغربية ويشتمل على قسم رأس التين وقسم الجمر ك وجزء من قسم المنشية ولا بد أن يكون السبب في ذلك يرجع الى أن هذا الجزء كان في قديم الزمان مغمورا بالماء وكانت الميناء متصلتين ببعضهما وكانت المدينة متصلة بجزيرة فاروس بواسطة جسر من الأحجار . وكان هذا الجسر هو الخط الفاصل بين المينائين المذكورتين وكان حد الاسكندرية الشمالى ينتهى بسور العرب ولا يجاوزه .

والنتيجة المترتبة على ذلك هي أن هذا الجزء لم يشيد ولم يصبح في الحالة التي وجدته عليها الحملة الفرنسية إلا بعد أن ردم هذا الجسر وطمر واتصلت المينا آن ببعضهما ثم اتصلتا بجزيرة فاروس .

أما بناء هذا السور الحربى فانه كان على مايلوح من البناء الفاخر كما تدل على ذلك صوره ورسومه المخططة في كتاب (وصف مصر) لعماد الدين الحملة الفرنسية .

وما يؤسف له أشد الأسف عدم الاحتفاظ بهذا السور الأثرى القيم الذى هدم جانب منه وهو الجزء الواقع بالقرب من المينائين فى عهد حكم محمد على . ثم تهدم جزء آخر منه فى حكم الخديو اسماعيل . وباقية هدم فى عهد الاحتلال الانكليزى .

واليك وصف هذا السور وقت مجيء الحملة الفرنسية كما جاء فى كتاب (وصف مصر) بالجزء الخاص بمدينة الاسكندرية الحديثة :-

لا يحتوى سور هذه المدينة المهجور الذى بعض اجزائه محصن بأكثر من ١٠٠ برج مختلفة الأشكال إلا على جزء من مدينة الاسكندرية اليونانية الرومانية القديمة . ويسمى هذا السور من زمن بعيد بسور مدينة العرب لأنه يظن أن امراء

الامة العربية الذين دام لهم حكم الاسكندرية ومصر نحو ١٢٠٠ سنة هم الذين بنوه .

ويبدو لنا أن الواقع هو أن هذا السور الذى يبلغ امتداده ٧٨٩٣ مترا قد شيد العرب أكبر جزء منه فى القرن التاسع الميلادى (القرن الرابع الهجرى) وحالة حيطانه الآن التى يحميها خندق ضيق ، سيئة على وجه العموم . وبين أبراجه الكثيرة الشاهقة التى أكثرها رجب وبنائها نفم ، يشاهد بعض أبراج واقعة على المينائين وعلى أطراف المدينة الحديثة يرجع تاريخ إقامتها الى القرون الأولى التى انشئت فيها مدينة الاسكندرية القديمة . فقد نقل الخلف عن السلف أن واحداً من هذه الأبراج وهو الذى يشرف على الفرضة الجديدة (الميناء الشرقية) من صنع يد الرومانيين وهذا البرج مازال الى الآن يسمى (البرج الرومانى) وهو البرج القائم قرب مسلات كليوباتره وعلى الشمال منها .

وهناك برجان آخران يلفتان النظر بضخامتهما ولونهما العتيق أحدهما قائم على الميناء الجديدة ومطل على مدخل الساحة التى عندها تنتهى قناطر المجرى المائى . والثانى يشرف على الميناء القديمة وبداخله برج آخر قائم فى وسطه . وهذا البرج المزدوج المتصلة حيطانه من الداخل بقبو مستدير ، رجب جداً وبنائه أنيق . كما أن بعض أبراج أخرى كانت أجزاؤها السفلى تستخدم ولا بد لحزن الماء .

ويوجد صهريج نخم في برج من الأبراج المطلة على واجهة المدينة الحديثة الجنوبية .

وقد رمم الحصن القائم في الزاوية البارزة الواقعة جنوب غربى السور حتى أصبح في حالة صالحة جداً للدفاع ويقال له نظراً لشكله (الحصن المثلث) . ولكنه أيبس بالنيران التى اشتعلت في مستودع باروده قبيل آخر عام ١٨٠١ م .

وتنتصب أبراج هذا السور المشيدة حسب مستلزمات الحرب في الأزمنة الغابرة ، شاحخة فوق مبانيها التى أعدت لاقامتها عليها . وجميعها منتهية بماشى بارزة عن قواعدها . وبهذه الماشى شرفات بها كوى وثقوب بواسطتها يمكن منع من يريد الدنو من هذا السور . وكافة الأبراج التى فى الخط الخارجى لها أبواب سرية أو أبواب للخروج تطل على الخنادق . وأغلب هذه الأبواب مرتفعة العتبات مترا أو مترين عن قاع الخنادق ويحجبها الآن سائر من البناء .

ويشاهد فى صلب بناء حيطان السور وبالأخص فى أساس أغلب الأبراج كثير من أعمدة الرخام والصوان مندمجة اندماجا أفقيا فيها ويرى أحد طرفيها من الخارج . وبعض أجزاء وجهاً هذه الحيطان مطلية بالمرمر لوقاية جوانبها من تأثير رطوبة البحر الملح التى تحدثها أنداء الليل الكثيفة المنتشرة على ساحل مصر . ويعانى الإنسان تأثير الرطوبة الشديد فى الحجر الجيرى

ويرى كيف تحلله هذه الرطوبة بدرجة كبيرة متى تأمل في حيطان
 السور القريبة من باب رشيد وفي الزاوية البارزة القائمة عنده .
 وفي هذا السور خمسة أبواب منها اثنان في واجهة
 المدينة الحديثة ، واحد في الشرق يسمى (باب رشيد) والآخر
 في الجنوب يسمى (باب العمود) - عمود السوارى - . ثم
 الباب الذى فى الغرب وهو الذى يطل من السبرج الهائل على
 المرفأ القديم (الميناء الغربية) . وهذا البرج هو آخر
 الأبراج غرباً . وهذه الأبواب مفتوحة فى الأبراج الراكبة فوق
 السور وفتحاتها توارىها من الخارج حيطان الأبراج . وتستخدم
 هذه الأبواب للاستكشاف وللدفاع عن الحامية على النمط الذى تستخدم
 فيه الأبواب السرية التى فى جوانب أبراج حصون فرنسا . ومصاريع
 هذه الأبواب من النجار المتينة المصنوعة من خشب الجيز . ووجهاها
 الخارجية مكسوة بصفائح من الحديد مثبتة بمسامير ذات رؤوس
 بارزة مشطوفة . ولكن هذا الحديد أكله الصدأ . أما خشبها
 الذى انحلت قشوره قليلاً فهذا لم يزد على مرور الأيام وكرور
 الأعوام إلا مائة . ويوجد على وجهات هذه الأبواب كتابة
 عربية كوفية وغير كوفية منها يعلم زمن انشائها - اه

والحقيقة أن عدد الأبواب لا بد أن يكون ستة
 لا خمسة لأنه كان يوجد فى الجنوب بابان لا باب واحد
 كما قالوا . وما يؤسف له أشد الأسف أن الكتابة المنوه

عنها في هذا الوصف التي كانت على أبواب هذا السور لم تنقل مع أنها كانت تنبئنا على الأقل عن اسم منشئ هذه المباني العظيمة .

وعدا أبراج سور العرب المذكورة كان يوجد من الحصون عند مجيء الحملة الفرنسية قلعة فاروس أو قايتباي التي هي عبارة عن سور محصن على طراز العصر الذي بنيت فيه وتحتوي على بزج مربع الشكل مشيد في أركانه أربعة أبراج صغيرة وبمأشيه شرقه فيها مصباح يضئ في الليل . وكان في غرف هذا البرج العليا أكداس من الأسلحة المختلفة تراكم فوقها الصدا وتدل حلها وأشكالها على أن بعضها من أسلحة الصليبيين والبعض الآخر من أسلحة حملة لويس السادس عشر المنكودة ، كما كان يوجد حصن آخر يقال له طايبة فاروس الصغيرة لوقوعه إزاء القلعة السابقة وهو الطايبة المعروفة بطايبة السلسلة الحالية . وهذه الطايبة كانت مشيدة في نهاية خط الصخور التي هي نهاية الميناء الشرقية من جهة الشرق . وقد بنيت هذه الطايبة للدفاع عن هذه الميناء . والصخور الموصلة لهذه الطايبة الصغيرة مرتفعة عن منسوب ماء البحر ولكنها كانت تغمر به عند اشتداد الأنواء .

وعند قدوم الفرنسيين لم يكن يوجد من هذه الطايبة الصغيرة إلا برج مربع الشكل متخرب به بعض أجزاء من مدافع برى الصدا حديدتها من جسراء رطوبة البحر الملح التي حالت هذا

الحديد وصيرته شرائح ونفايات معدنية .

ثم كان يوجد في موضع مدرسة رأس التين الأميرية
الآن حصن ثالث يشرف على الميناء الغربية .

ولما احتل الفرنسيون المدينة شيدوا حصونا لحماية من
الاعتداء عليها من الخارج وهذا يانها :-

(١) - حصن كوم الدكة . وهو الحصن الباقي إلى الآن
وسمى حصن كريتان Fort Crétin تخليداً لذكرى المهندس الحربى
الفرنسى القائمقام كريتان الذى أشرف على بنائه ثم قتل في موقعة
أبي قير التى نشبت بين الفرنسيين والجنود التركية في ذلك الحين .

(٢) - حصن كوم الناظورة . وهو أيضاً لا يزال باقياً
إلى الآن . وسموه حصن كافاريللى Fort Cafarelli باسم الجنرال
الذى كان مشرفاً على الأعمال الهندسية الحربية في جيشهم .
وهذا الجنرال فقد إحدى ساقه قبل مجيئه إلى مصر واستعاض
عنها بساق خشبية فكناه المصريون بأبى خشبة ثم قتل في حصار عكا .

(٣) - حصن لوتورك Fort Leteruce وهو حصن
أقاموه غربى الحصن السابق على شاطئ البحر في الموضع الذى
به طاية صالح الحالية . ولوتورك اسم أحد قوادهم .

(٤) - حصن كليوطره . وهو حصن شيدوه على المرتفعات

القائم عليها الآن المستشفى الأميرى وسموه بهذا الاسم لمجاورته
للمسلة المسماة بمسلة كليوطره .

وقد أقاموا عدا هذه الحصون صفوفًا من المدافع
(بطاريات) فى المواضع الآتية :-

(١) - بطارية فى نهاية رأس التين فى الموضع الذى
صار فيها بعد طاية الفنار .

(٢) - بطارية فى شمال رأس التين فى الموضع الذى
صار فيها بعد طاية سراى رأس التين .

(٣) - بطارية فى موضع منهد (ميس) ضباط الحرس
الملكى الآن وكان فى موضعها قبل ذلك طاية الاستبالية .

(٤) - بطارية فى موضع طاية الأطة الحالية .

هذه هى كل المنشآت التى أقامها الفرنسيون على شواطئ
مدينة الاسكندرية وفى داخلها للدفاع عنها من عدو يهاجمها .
وللاحظ أنه فى مواضع البطاريات السالفة الذكر أقيمت
طوابى فيما بعد كما سبق .

٤ - فى حكم محمد على

عهد محمد على إلى جاليس بك تحصين مدينة الاسكندرية

وفي عام ١٨٤٠ م كانت حصونها وأسلحتها كما يؤخذ من رسوم الملازم نيوجنت Nugent من رجال البحرية البريطانية كالآتي :-

الجملة	اهوان	مدافع	الحصون
٦	—	٦	١ - طاية الساسلة
١٠	—	١٠	٢ - د قبور اليهود
٩	٣	٦	٣ - د كوم الدكة
١٦	٤	١٢	٤ - د كوم الناطورة
٣٢	١٢	٢٠	٥ - د قايتباى
١١	١	١٠	٦ - د الأطة
٦٣	١٧	٤٦	٧ - د سراى رأس التين
٤٣	١٠	٣٣	٨ - د فنار رأس التين
١٨	٣	١٥	٩ - د صالح أغا
٣٠	—	٣٠	١٠ - د أم قبيسة
١٣	٣	١٠	١١ - د القمرية
١٠	—	١٠	١٢ - د الملاحة القديمة
٣٤	—	٣٤	١٣ - د الملاحة الجديدة
١٣	٣	١٠	١٤ - د الدخيلة
١١	٣	٨	١٥ - د جزيرة المعجمى أو المرابط
٧٠	—	٧٠	١٦ - د طوابى دائرة السور
٣٨٩	٥٩	٣٣٠	الجملة العمومية

وبعد سنة ١٨٤٠ م وفي أواخر حكم محمد علي زاد عدد هذه الحصون كما يؤخذ من القائمة المؤرخة بعام ١٢٦٤ هـ (١٨٤٨ م) التي وضعها حسن باشا الاسكندراني ناظر البحرية المصرية الذي أدركته المنية سنة ١٨٥٥ م فغرق مع من غرق في سفينة القيادة (مفتاح جهاد) في حرب القرم التي اشترك فيها الأسطول المصرى .

وهذه القائمة نقلها اسماعيل سرهنك باشا في كتابه (حقائق الأخبار عن دول البحار) ج ٢ ص ٢٥٩ . ومنها يتبين أن عدد هذه الحصون ومدافعها كان كالآتي :-

الجملة	أهوان	مدافع	الحصون
٦٣	٦	٥٧	١ - طاية الفنار
١	-	١	٢ - د الفنار الصغيرة
٧٣	١٢	٦١	٣ - د التراب
٢٣	١٠	١٣	٤ - د الاسبتالية الجديدة
٢٥	-	٢٥	٥ - د الاسبتالية القديمة
٦٤	٧	٥٧	٦ - د الأطاة
١١٦	٦	١١٠	٧ - د قلعة برج الظفر
١٢	٦	٦	٨ - د طاية ظهر منزل الفرنسيين
٨	-	٨	٩ - د المفحمة

(تابع) بيان الحصون ومدافعها

الجملة	أهوان	مدافع	الحصون
٩	-	٩	مسلة فرعون د - (١٠)
١٠	-	١٠	قبور اليهود القديمة د - (١١)
٢٠	-	٢٠	قبور اليهود الجديدة د - (١٢)
١٩	١	١٨	برج السلسلة د - (١٣)
٦	-	٦	باب شرقى د - (١٤)
١١	١	١٠	كوم الناظورة د - (١٥)
٣	-	٣	الدخيلة د - (١٦)
٢٢	٢	٢٠	السليبة د - (١٧)
٤٩	٩	٤٠	المكس د - (١٨)
١٠	١	٩	القمرية د - (١٩)
٦٠	٤	٥٦	أم قبيلة د - (٢٠)
١٥	١	١٤	الملاحة القديمة د - (٢١)
٣٥	١	٣٤	الملاحة الجديدة د - (٢٢)
١٣	-	١٣	صالح أغا د - (٢٣)
٨	-	٨	باب سدره د - (٢٤)
١١	٢	٩	كوم الدكة د - (٢٥)
٦٨٦	٦٩	٦١٧	الجملة

وزيادة في بيان هذه الحصون ومواقعها نقول :-

(١) و (٢) - طاييتا الفنار والفنار الصغيرة . هما الآن عبارة عن الطايية المعروفة بطايية الفنار برأس التين .

(٣) طايية النراب . هي الآن تشغل خط النار شمال سراى رأس التين ولهذا تسمى طايية سراى رأس التين .

(٤) و (٥) - طاييتا الاستبالية القديمة والاستبالية الجديدة . تقعان الآن تجاه قشلاقات وميس ضبط الحرس المملكى فى المكان الذى كان قائما عليه هذان المستشفيان .

(٦) - طايية الأطة . لاتزال فى موضعها كما كانت إلى الآن شرق حمام الأنفوشى وبها مركز لخفر سواحل قسم الاسكندرية والأطة كلمة تركية معناها الجزيرة وهذه الطايية الآن تعرف عند الناس باسم طايية القضا .

(٧) - قلعة برج الظفر . هي فى رأينا الطباية المعروفة الآن بطايية قايتباى للأسباب الآتية :-

(١) - تسمية كثيرين من المؤلفين لهذا البرج باسم قايتباى .

(٢) - عدم ذكر اسم حصن قايتباى فى قائمة حسن

باشا الاسكندرانى مع انه كان أهم حصون الاسكندرية كما يؤخذ من حالة تسليحه .

(٣) - مجيء هذا الحصن فى الذكر بعد طايية الأطة

في قائمة حسن باشا الاسكندراني وكذلك في الوضع الجغرافي فانه فيه بعد هذا الحصن شرقا .

نعم كان يوجد بين موقع مسجد الامام البوصيري وسراى المحافظة القديمة على شاطئ البحر برج صغير كان معروفا بين الناس باسم البرج الزفر (برج الظفر) . وقد زال وبقيت آثاره منذ أن ردم ساحل البحر في هذه الجهة وأقيم بناء رصيف الميناء الشرقية الجديد فيجوز أن يكون برج الظفر هو هذا البرج الذى زال . وقلعة برج الظفر هي الطاية المعروفة بطاية قايتباى . ولايحيد عن أحد هذين الرأيين ، وإهمال ذكر برج الظفر بهذا الاسم وحده في قائمة حسن باشا الاسكندراني يكون لأنه أدججه تحت اسم قلعة برج الظفر أو لأنه لم يكن له أهمية حرية .

(٨) - طاية ظهر منزل الفرنسيس . كانت واقعة كما يدل على ذلك اسمها على البحر خلف قنصلية فرنسا القديمة التي كانت مشيدة محل ميدان سعد باشا زغالول الآن ودمرناها نيران الاسطول البريطانى سنة ١٨٨٢ م عند اطلاق قنابله على المدينة .

(٩) - طاية المفحمة . كانت قائمة على شاطئ البحر أيضا شرقى الطاية السابقة عند نهاية شارع البورصة القديمة .

(١٠) - طاية مسلة فرعون . كانت كما يدل على ذلك اسمها قرب مسلة فرعون بجوار محطة الرمل الحالية .

(١١) و (١٢) - طابيتا قبور اليهود القديمة وقبور اليهود الجديدة . كانت أولاهما في موضع المستشفى الأميري الحالى . والثانية بين نهاية شارع يوسف عز الدين ورأس السلسلة .

(١٣) - طاية برج السلسلة - كانت تشغل الرأس الداخل في البحر الذى حولته البلدية الى متنزه .

(١٤) - طاية باب شرقى - كانت قائمة بالقرب من أحد أبواب سور المدينة وهو الباب المسمى بهذا الاسم والمسمى أيضاً بباب رشيد . وموقعها الآن في شارع فؤاد الأول عند ملتقى شارع السلطان حسين كامل بشارع بلجيكا .

(١٥) - طاية كوم الناطورة (الناضورة) - لا تزال باقية وفيها الآن مركز اشارات مصلحة الموانى والمنائر .
(١٦) - طاية الدخيلة - كانت واقعة بين باب العرب وطاية العجمى .

(١٧) - طاية السلية - وهذه لا بد أن موقعها كان بين طائيتى الدخيلة والمكس .

(١٨) - طاية المكس - وهى قائمة الى الآن قرب باب العرب .

(١٩) - طاية القمرية - كانت واقعة شرق الطاية

السابقة في موضع مركز اشارات مصلحة الموانى والمنائر .
(٢٠) - طاية أم قبية - كانت شرق طاية القمرية
المذكورة وبينها وبين طاية صالح اغا في موضع شواد
الخشب الآن .

(٢١) و (٢٢) - طاييتا الملاحة القديمة والملاحة
الجديدة - هما على هذا الترتيب حصنا اليسرى الصغرى واليسرى
الكبرى الحاليتان القائمتان بين طريق المكس وبحيرة مريوط
خلف المحطة القديمة التى كانت لخط سكة حديد مريوط ثم
تحولت الآن مدرسة للبنات (مدرسة المعلمات الورديان)
والحصن للشرقى منها الذى هو طاية الملاحة القديمة مبين
بخرطة مصلحة المساحة باسم حصن الملاحة .

(٢٣) - طاية صالح اغا - لا تزال باقية الى الآن
ومعروفة باسم طاية صالح . وهى التى تقوم باطلاق المدافع
لتحية السفن الحربية القادمة الى الاسكندرية .

(٢٤) - طاية باب سدره - كان موقعها قرب أحد
أبواب سور العرب المعروف بباب السدره وموقع هذا الباب
الآن بشارع الخديو الأول تجاه شارع عمود السوارى .

(٢٥) - طاية كوم الدكة أو كوم الدماس - لا تزال
باقية الى الآن فى موقعها على الشارع المعروف بشارع نبى الله
دانيال . وهى مشهورة غنية عن التعريف .

٥ - فى حكم ابراهيم باشا

قال على باشا مبارك فى خطه ج ٧ ص ٦٠ مانصه :

قد اشتغل ابراهيم باشا بمجرد استيلائه بأمر مهمه فى اسكندرية وغيرها ذات منافع عموميه من ضمنها تكميل طوابى اسكندرية واستحكاماتها على الوجه الذى أسست عليه فى عهد العزيز والده وشحنها بالعسكر والأسلحة والآلات ومر بالساحل من اسكندرية الى رشيد ثم الى دمياط واستكشفه بنفسه - إلى أن قال - وأمر فى ثغر اسكندرية بإنشاء مائتين وخمسين شلوبة طوبجية كل واحدة تحمل مدفعين لحفظ البوغازات والملاحات . وكان عازما على تخطيط سكة تبندى من الاسكندرية وتمر بناحية أبى قير وتستمر الى رشيد ليسهل السير على العساكر والمهمات عند الحاجة - إلى أن قال - لكن لم تم له الأيام حتى يتم ما شرع فيه وما عزم عليه . ٥١

٦ - فى حكم عباس الأول

وقال على باشا مبارك أيضا فى خطه ج ٧ ص ٦١ أثناء الكلام

على الاسكندرية فى زمن المرحوم عباس باشا ما نصه :-

وكان بما وجه همته اليه زيادة على غيره تميم الاستحكامات والطوابى والقلاع طبق مارشمه رئيس هندسة الاستحكامات جاليس بك ووافقه عليه ذوو الدراية والخبرة وأقره الخديو . فأقام معظم حصونها وأضاف إليها بعض حصون رأى أهميتها فأدخلها فى النقط المهمة ، ومن

ذلك قلعة مقابر اليهود وقلعة أبي قير وقلعة العجمي مع انشاء مبان ملحقة بتلك القلاع للوازمها . فأنشأ في قلعة مقابر اليهود جبخانة جسيمة تسع تسعة آلاف قنطار من البارود وهي إلى الآن مستعملة في حفظ البارود . وعمل في قلعة أبي قير مخبزا وطواحين تدور بالهواء . واستبالية لمرضى العساكر المقيمين بهذه القلعة وما جاورها من القلاع فكانت العساكر المقيمة في تلك الجهات لا تحتاج لشيء يأتي من الخارج . ولم يزل ملتفتا الى الاستحكامات والقلاع والحصون عازما على إتمامها فيلحق بها ما يلزم من الورش والبطاريات الطوبجية وقشلاقات العساكر المحافظين والاستباليات وغير ذلك حتى انتظم أكثر القلاع التي كان جده وعمه مهتمين بها . وبنيت ورشة للطوبجية في وسط المدينة في شرقي المحل المعروف بكوم الناضورة طولها مائتا متر في مثلها عرضا مشتملة على جميع محلات التشغيل كمحلات النجارة والحدادة والبرادة والسبك وغير ذلك كالمخازن . وجلب لها جميع آلات التشغيل والعمال والمعلمين فصارت من أحسن ما يعمل من هذا القليل . وعمل بها عدة بطاريات يعمر بها كثير من آلات السواحل وغيرها ثم أبطلها المرحوم سعيد باشا وأمر ببيع أرضها للأهالي فبنيت منازل وغير ذلك ومن ضمنها الآن حمام هنيدى (حمام الورشة) وأنشئت القشلاقات داخل الطوابي . فمن ذلك قشلاق في طابية الأداء (الأطة) لاقامة خمسمائة عسكرى . وقشلاق في قلعة أم قبية كذلك . وقشلاق فوق باب الصورى المعروف بباب محرم بك لاقامة أوبرطة من العساكر .

ولما أنشئت سكة الحديد الواصلة إلى الرمل (١) مرت في وسط القشلاق
 فقسمته نصفين . والآن به عساكر محافظة الضبطية . وبني الاستبالية
 الملكية في حوش مقابر اليهود بجوار المسلة المعروفة بمسلة كليوبطرة
 ووفاهها جميع لوازمها من مفروشات وملبوسات وأدوية وآلات وجعل
 بها اجزخانة وبيتا للتركيب الأدوية ونوع محلاتها بحسب أنواع الأمراض
 والعلل . ورتب لها حكماء وجراحية لجأت من أحسن الاستباليات
 وحصل بها النفع العام وصار يدخلها الأهالي والغرباء للتداوى بدون
 مقابل واستمرت على ذلك حتى هدمتها سكة حديد الرمل أيضا . والآن
 عمل من فيض المكارم الخديوية استبالية عوضاً عنها في محل قريب منها .
 ولأجل الوقوف على ما اشتملت عليه الاراضى المجاورة لثغر الاسكندرية
 أمر باستكشاف ما حوله حيث كان لذلك دخل في المحافظة فكشف
 سواحل البحر من الاسكندرية الى العريش - إلى أن قال - واهتم
 أيضا بكشف الصحاريح التي بداخل الاسكندرية وخارجها وما تشتمل
 عليه وقدر ما تسع من الماء والمجـارى التي توصل الماء اليها وصار
 التنبيه على أصحاب الاملاك ألا يتلفوا شيئا من ذلك ولا يتصرفوا فيه
 وجعل لذلك قوانين معمولاً بها الى الآن وكانت قد بطلت مدة فنشأ
 عن بطلانها تصرف أصحاب الاملاك في كثير منها بالنقض والهدم .
 وحيث كان الماء من أهم لوازم الميناء ولا يستغنى عنه زمنا ما

(١) هذا خطأ ظاهر ولعل صحة الكلام سكة حديد الخط الطويل الموصل الى القاهرة .

لا سيما لو فرض حصول محاصرة تقطع ماء المحمودية عن الثغر صدرت أوامره السنية بدم التعرض للصهاريج بوجه ما والرجوع الى تلك القوانين فامتنع الناس من هدمها ولا يخفى أهمية ذلك فان تلك الصهاريج مبنية من قرون عديدة ولا شك أنها صرفت فيها أموال جسيمة وهى من الآثار القديمة التى نوه التاريخ بقدرها وأهميتها بالنسبة لهذه المدينة لبعدها عن النيل . والماء الواصل إليها من الخليج يمر فى وسط بحائر ملحمة ومنحطة وفى أى وقت يمكن صرفه الى البرارى أو البحر وحرمان المدينة منه فيقع أهلها فى الضرر وتفارقها العمارة مع أنها مفتاح القطر فلم يكن أهم مما يوصل الى عماريتها وراحة أهلها . ومن ذلك كشف المسالك الموصلة اليها ومعرفة ما اشتملت عليه تلك الطرق مما هو من لوازم الحياة كالمياه العذبة والمراعى وحطب الوقود وجلب الميرة ومنع الأعداء . فكل ذلك معرفته مهمة فى وقت السلم لينتفع به عند حصول ضده . فهذا هو ملحظه رحمه الله وملحظ المؤسس الأصلى وملحظ سر عسكر (ابراهيم باشا) جزاهم الله عن الوطن خيرا . ومن هذا الاستكشاف ظهرت ثمرات جمة منها عمل سكة عسكرية من طابية القبارى الى باب العرب لتسهيل مرور العساكر والواردين على المدينة من جهة الغرب ووادى سيوة وكانوا قبل ذلك يقاسون مشقات زائدة لعدم انتظام المسالك - إلى أن قال - وقد رسم ذلك كله فى خرط الاستحكامات حتى لا تتطرق اليه شبهة فيما بعد - إلى أن قال - ولما كثرت الافرنج والأغراب فى مدينة الاسكندرية واستوطنوها

واستحوذوا على كثير من الفضاء الذى كان بداخل المدينة وضواحيها
 رغبوا فى سكنى الرمل وهى قرية شرق المدينة بينها وبين أبى قير
 وأكثروا من شراء الأملاك فى هذا المحل لقلة ثمن الارض هناك إذ ذاك
 فتبقت الحكومة لذلك لما لتلك الجهات من الأهمية لوقوعها فى
 المناطق العسكرية الممنوع البناء فيها فأمرت بضبط ما بيع من هذه
 الأراضى وبيان ما بنى وما لم يبن منها ومنعت التصرف فى أراضى الرمل
 وغيرها إلا بأذن من الحكومة وجعلت لذلك قوانين تتبع فى هذه
 الأمور . وبسبب قرب الرمل من المدينة واتساعه وطيب هوائه رغب
 المرحوم فى اتخاذه معسكرا تجتمع فيه العساكر فى المناورات وغيرها وأمر
 بردم الملاحة المجاورة لقرية الرمل (ملاحة سيدى جابر - أرض
 سموحة الآن) لمنع العفونة وعمل لذلك رسوم وميزانيات ولكن بموته
 لم يتم ذلك . اهـ

٧ - فى حكم سعيد باشا

الظاهر أن تحصين مدينة الاسكندرية فى حكم سعيد باشا بقى على
 ما كان عليه فى حكم سلفه عباس الأول .

٨ - فى حكم الخديو اسماعيل

عزز الخديو اسماعيل حصون هذه المدينة بمدافع أحدث
 طرازا من التى كانت بها حتى يجارى بذلك روح العصر الذى كان

فيه لأن مدافع عصر محمد على لم يكن بينها النوع المعروف بالششخانة الذى تحقق تفوقه على النوع القديم . فكان من اللازم التفكير فى تسليح هذه الحصون بهذا النوع مادام القصد من هذا التسليح ضمان سلامتها من غارة أجنبية .

لذلك ابتاع الخديو اسماعيل من انجلترا فيما بين سنة ١٨٦٩ و سنة ١٨٧٣ م ٢٠٠ مدفع من طراز أرمسترونج عيار ٧ بوصات ووزن ٧ أطنان وعيار ٨ بوصات ووزن ٩ أطنان وعيار ٩ بوصات ووزن ١٢ طناً وعيار ١٠ بوصات ووزن ١٨ طناً وهذه المدافع تعمر من الأمام . وابتاع أيضاً أربعة مدافع عيار ٤٠ رطلا من الطراز عينه ولكنها تعمر من الخلف . ونصب من هذه المدافع فى حصون مدينة الاسكندرية الأربعة المدافع الأخيرة و٤٦ مدفعاً من المدافع الأولى . والباقي من المائتى مدفع نصبه فى بقية حصون سواحل مصر حتى بور سعيد . ووقت تركيب هذه المدافع الحديثة نزع بعض المدافع القديمة وكانت التى نزع بالضرورة غير صالحة للاستعمال ولكن قواعدها استخدمت مداور للمدافع الحديثة .



موازنة بين هذه الحصون والأسطول البريطاني

الحصون

إن ساحل مدينة الاسكندرية سهل منبسط ليس به مضاب ولا جبال اللهم إلا بعض التلال المصنوعة . وهو لهذا السبب الطبيعي لا يصلح لاقامة حصون عليه تدفع عن هذه المدينة شر القنابل الحديثة سواء التي اخترعت في أيامنا هذه والتي كانت في سنة ١٨٨٢ م وقت أن ضربها الأسطول الانكليزي الذي كان مزوداً بمدافع أقوى من مدافع هذه الحصون .

وكان حصن أم قبية هو الحصن الوحيد المقام على تل مرتفع عن الأرض . وكانت حصون الاسكندرية في سنة ١٨٨٢ م هي ذات الحصون التي كانت في عهد محمد علي مع فرق بسيط . وهو أنه لما سلحها الخديو اسماعيل بمدافع من طراز أرمسترونج رفع ستائرهما وزاد في سمكها وفتح فيها كوات جديدة تتناسب مع هذا التسليح الجديد . ولكن كل المدافع كانت منصوبة في العراء بدون أن يعلموها أية وقاية تقي العساكر الذين يطلقونها . وقد يجوز أن يكون نصبها بهذه الكيفية أخف ضرراً لو كانت هذه الحصون شيدت فوق مرتفعات لأن

علوها حينئذ بالنسبة للضلع التي تضطر السفن الحربية أن تصوب منها مدافعها يمكن أن يتخذ وقاية كافية لحماية جنودها من أذى القنابل . ولكن نظراً لأن كل هذه الحصون تقريباً كانت قائمة على أرض منخفضة نشأ من ذلك أضرار بالغة لرجال مدفعيتها الذين كانوا عرضة لنار مدافع السفن وبالأخص لمدافع السربند المنصوبة على السوراري والتي بواسطتها في هذه الحالة يمكن إسكات مدافع هذه الحصون بقتل جنودها وبغير حاجة إلى اتلاف هذه المدافع .

والحصن الوحيد الذي يمكن استثناءه من هذه الحالة هو حصن قايتباي الذي كان في طبقته السفلى المسقوفة مدفعية مستورة بطبقته العليا . ولكن حيطانه لم تكن من المتانة بحالة تستطيع معها الاستهداف لمدافع هذا الأسطول . فقتلت وجرحت الشظايا التي كانت تتطاير منها كثيراً من الجنود فضلاً عما أحدثته من الضحايا والتلف للأهالي والمساكن حتى لقد قال القائد جودريتش Goodrich أحد قواد امريكا الحريين في تقريره ص ٤٨ إن هذه الحرب لم تكن إلا دهليزا إلى مهاوى الموت السحيقة .

وقد كان هذا القائد على ظهر السفينة الحربية لانكاستر Lancaster وقت ضرب الاسكندرية وشاهد هذه الموقعة

وعاين هذه الحصون بنفسه بعد الضرب وتبع خطوات الجيش الانكليزي في جميع حركاته العسكرية من أولها الى ما بعد واقعة التل الكبير . وقدم تقريراً مفصلاً لحكومته بكل ما عاينه ورآه . ومن هذا التقرير استقيت معظم معلوماتي .

وكان في كل الحصون بدون استثناء مبان عديدة مرتفعة عن ستائرهما مثل مستودعات القنابل والثكنات (القشلاقات) والمخازن . وكانت هذه المباني المرتفعة بهذه الكيفية كأنها نصبت لتكون هدفاً عجيباً لا تخطئه نيران مدافع الأسطول . وكانت مستودعات البارود على الأخص غير مصونة الصيانة الكافية . ويؤيد ذلك انفجار مستودعي البارود في طابقي الأطلية والدخيلة . ومن العجائب أن مستودعي البارود في كلتا الطابقتين هما وحدهما اللذان أصيبا فانفجرا وتمزقا شر ممزق دون غيرها من المباني التي فيهما . والقنابل لم تكن على وجه العموم معبأة من قبل في مدافع هذه الحصون بل كانت تعبأ في خلال المعارك .

هذه هي الحالة التي كانت عليها حصون مدينة الاسكندرية في سنة ١٨٨٢ م وقبلما ضربها الأسطول الانكليزي . أما من حيث تسليح الحصون التي كانت في ساحل المدينة وكانت معرضة لمدافع الأسطول فكان كالاتي :-

— ٤٠ —

الجملة العمومية	اهوان	مدافع غير ششخانة	ششخانة	مدافع ارمسرونج ششخانة					الحصون
				تعمر من الخلف		تعمر من الامام			
				عيار		عيار			
				رطلا	بوصه	بوصه	بوصه	بوصه	
				٤٠	١٠	٩	٨	٧	
٥	١	٢	٢	-	-	١	١	-	طابية السلسلة
٥٠	٤	٣٨	٨	٢	١	٣	٢	-	قلعة قايتباي
٤	-	٤	-	-	-	-	-	-	طابية الهلالية
٢٤	٥	١٤	٥	-	١	٣	١	-	د الأطة
١٧	٥	١٠	٢	-	-	-	-	٢	د الاسبتالية
٣٢	٥	٢١	٦	١	١	٢	٢	-	د رأس التين
٣٧	٣	٢٨	٦	-	١	٤	١	-	د الفنار
٢٢	١	٢١	-	-	-	-	-	-	د صالح أغا
٤	-	٤	-	-	-	-	-	-	د برج رقم ١٥
٢١	٣	١٦	٢	-	-	-	٢	-	د أم قبية
٥	-	٥	-	-	-	-	-	-	د القمريه
٥٢	١٠	٣٦	٦	١	١	١	٣	-	د المكس
٤	-	٤	-	-	-	-	-	-	د الدخيلة
٩	-	-	٩	-	٣	٥	-	١	د العجمي
٣٢	٣	٢٦	٣	-	-	٣	-	-	د المرباط
٣١٨	٤٠	٢٢٩	٤٩	٤	٨	٢٢	١٢	٣	الجملة

وعدا المدافع السالف بيانها نقل اثنا عشر مدفعا من طراز
ارسترونج الذى يعمر من الأمام (ششخانة) الى الحصون الآتية :-
مدفعان عيار ٩ بوصات ومدفعان عيار ١٠ بوصات
الى طاية المكس .

وثلاثة مدافع عيار ٩ بوصات الى طاية الدخيلة .

ومدفعان عيار ٧ بوصات ومدفعان عيار ٨ بوصات
ومدفع عيار ١٠ بوصات إلى حصن المرباط .

ولكن كل هذه المدافع لم يمكن تركيبها في هذه الحصون ولا
أمكن استعمالها في ضرب الأسطول الانكليزى .

ويجب حذف المدافع التى من غير نوع الششخانة وكذلك
الاهوان من قائمة المدافع المذكورة قبل لأنها لم يكن لها في الواقع
أية قيمة حربية في زمن ضرب مدينة الاسكندرية إذ كانت قطاعا
عتيقة يرجع تاريخها إلى عهد محمد على وكان مرماها قصيرا وليس
لمقذوفاتها القوة اللازمة لاختراق مدرعات الأسطول البريطانى لأن القنبلة
بعد أن تجتاز المسافة التى تحتفظ فيها بسرعتها تستمر في السير ولكن
مع ضعف في هذه السرعة . فاذا وصلت إلى الهدف عند ضعف سرعتها
لا تحدث ضررا يذكر لخصم قوى في منزلة هذه المدرعات .

ولا يمكننى أن أقدم برهانا على صحة ما ذكرت أسطع بمواقع
لسفينة القيادة في هذا الأسطول (الكسندرا Alexandra) .

فقد أصيبت هذه السفينة بستين قنبلة فكانت نتيجة هذه الأصابات قتل جندي واحد وجرح ثلاثة . فلو أن هذه القنابل الستين كان لها تأثير حقيقى لأغرقتها .

ومن ناحية أخرى كانت عجالات هذه المدافع فى حالة سيئة فبعضها تحطم عند انطلاق المدافع وبعضها انقلبت من فوقها المدافع عند رجوعها على أثر انطلاقها .

ويجب أيضا حذف المدافع الأربعة التى من طراز ارمسترونج وتعمر من الخلف لأن عيارها صغير جدا بحيث لا تستطيع أن تعمل عملا جدبا ضد هذه المدرعات .

الأسطول

كان الأسطول الانجليزى الذى ضرب مدينة الاسكندرية بقيادة الأميرال سيمور Seymour مؤلفا من ثمانى مدرعات كبيرة هى :
الكسندرا Alexandra وهى سفينة الأميرال . والانفليكسيبل Inflexible .
والسلطان Sultan . والسوبرب Superb . والتميرير Témeraire .
والانفيسيبيل Invincible . ومونارك Monarch . وبنلوط Penelope .
وخمس سفن صغيرة (مدفعيات) وهى : بترن Bittern . وكندور Condor .
ويكن Beacon . وسينت Cygnet . ودكوى Deçoy .

وسأحذف عند ذكر مدافع هذا الأسطول المدافع التى عيارها

— ٤٣ —

يقل عن عيار مدافع الحصون وكذلك مدافع السفن الصغيرة (المدفيعيات) . وذلك في مقابل المدافع العتيقة والأهوان التي حذقتها من الحصون . وهذا الحذف في صالح الاسطول على ما أرى .

وقد كانت كافة المدافع المسلح بها هذا الاسطول من طراز ارمسترونج وتعمر من فوهاتها مثل مدافع الحصون التي من نوعها (الششخانة) . وهاك تقسيمها على مختلف المدرعات المذكورة :-

المُدافع		المُدافع					المدرعات
الجملة	العيار						
مدافع	بوصه ٧	بوصه ٨	بوصه ٩	بوصه ١٠	بوصه ١٢	بوصه ١٦	
١٢	-	-	-	١٠	٢	-	الكسندرا
٤	-	-	-	-	-	٤	انفلكسييل
١٢	-	-	٤	٨	-	-	سلطان
١٦	-	-	-	١٦	-	-	سوبرب
٨	-	-	-	٤	٤	-	تمريز
١٠	-	-	١٠	-	-	-	انفسييل
٧	١	-	٢	-	٤	-	مونارك
٨	-	٨	-	-	-	-	بنلوب
٧٧	١	٨	١٦	٣٨	١٠	٤	الجملة

— ٤٤ —

وكان وزن المدافع عيار ١٦ بوصة ٨٠ طنا وتقذف قنابل
وزن الواحدة منها ١٧٠٠ رطل (٦١٢ أقة أو ٧٦٥ كيلو جرام).

الموازنة بين السلاحين

والآن أبشر معالجة الموازنة بين سلاح الحصون وسلاح
الأسطول لأين تفوق الثانى التفوق العظيم على الأول بالعيار
وبالوزن فأقول :-

لقد كانت مدافع الحصون ذات العيار الواسع حسب
القائمة التى سبق تدوينها كما يأتى :-

المدافع	عيار المدفع بالبوصات	وزن المدفع بالاطنان	جملة العيار بالبوصات	جملة الوزن بالاطنان
٣	٧	٧	٢١	٢١
١٢	٨	٩	٩٦	١٠٨
٢٢	٩	١٢	١٩٨	١٠٨
٨	١٠	١٨	٨٠	١٤٤
٤٥			٣٩٥	٣٨١

أما مدافع الأسطول فكانت كما ذكر آنفا كالاتي :-

المدافع	عيار المدفع بالبوصات	وزن المدفع بالاطنان	جملة العيار بالبوصات	جملة الوزن بالاطنان
١	٧	٧	٧	٧
٨	٨	٩	٦٤	٧٢
١٦	٩	١٢	١٤٤	١٩٢
٣٨	١٠	١٨	٣٨٠	٦٨٤
١٠	١٢	٢٥	١٢٠	٢٥٠
٤	١٦	٨٠	٦٤	٣٢٠
٧٧			٧٧٩	١٥٢٥

فالأسطول كان يمتاز امتيازاً كبيراً على الحصون كما يعلم من المقارنة بين هذه الأرقام . ويكون هذا الامتياز أشد ظهوراً لو نظرنا بعين الاعتبار إلى حالة طابقي السلسلة والعجمي . فحسن العجمي لم يكن قد تم إنشاؤه فلم يشترك في القتال . وكذلك لم تشترك فيه مدافع الحصون الأخرى التي لم تكن منصوبة في اتجاه الأسطول . وهذا الامتياز يتعاضد ويزداد ظهوراً بسبب سرعة تحريك الأسطول واستطاعته أن يحشد بوارجه ويصوب جميع نيرانها على حصن واحد فيقوضه ويدمره بدون أن يستطيع حصن آخر أن ينجده . وهكذا يهاجم الأسطول حصناً بعد آخر فيصيبها التلغف جميعاً . وهذا ماحدث فعلاً

وهذه هى الحركات البحرية الحربية التى نوحاها هذا الأسطول فى ذلك اليوم الأنكد المشؤم .

وكانت حامية الحصون مؤلفة من ١ جى طوبجية سواحل ومجموع قوته ١٧٦٢ ضابطا وصف ضابط وجنديا . وهذا الألاى هو الذى كان فى ذلك اليوم الرهيب مع عيوب هذه الحصون ونقصها والتفاوت بين القوتين المتحاربتين وضآلة معداته يدافع بروحه ودمه عن شرف الجيش والعلم المصرى بشجاعة تعلو قدره وترفع رأسه . فحيا الله أولئك الأبطال الذين راحوا ضحية الدفاع عن الأوطان وتغمدهم بواسع رحمته ورضوانه .

الحوادث التى سبقت الضرب

شرع الأميرال سيمور من أول بوليه سنة ١٨٨٢ م يتنحل سببا من الأسباب مقبولا أو غير مقبول معقولا أو غير معقول ليتذرع به إلى فتح باب الشر والعدوان حتى يحقق مطامع دولته فى مصر تلك المطامع التى كانت تعمل لها انجلترا منذ زمن بعيد .

ويقال أيضا إن هذا الأميرال كان لديه سبب شخصى يدفعه إلى الإسراع فى مباشرة الأعمال الحربية على قدر مايسطيع . ذلك أن أسطول بحر المانش كان قد تلقى الأوامر بالاقلاع إلى البحر الأبيض المتوسط لينضم إلى اسطول الأميرال سيمور ويعاونه فى ضرب قلاع الاسكندرية . وقد كان الاميرال دويل Dowell قائد اسطول

بحر المانش أرقى منصبا من الاميرال سيمور فاذا انضم اليه بأسطوله كانت له الرئاسة قطعا وآل إليه دون سيمور شرف الانتصار إذا أحرزه في ذلك اليوم .

هذا هو السبب في تعجل الأميرال سيمور وخلقه للأسباب ولولم يكن لها وجود .

وإني أسوق هنا بعض المكاتبات الرسمية التي دونها الحكومة الانكليزية في الكتاب الأزرق عن سنة ١٨٨٢ م وهي :

(١)

برقية من الأميرال سيمور إلى مجلس الاميرالية البريطانية

الاسكندرية في أول يولييه سنة ١٨٨٢ الساعة ٧ ١/٢ صباحا

لقد شوهدت مراكب مشحونة بالمواد المفرقة على مسافة قليلة من الجسر (قناة السويس) وفي هذا الموضع معسكر كبير من البدو . ومعسكر الزقازيق تلقى أوامر بحشد ٣٠ ألف رجل مزودين بالفؤوس والزنايل (يعنى أن النية معقودة على سد قناة السويس) . وتلقت الأهالى تعليمات أن يتزودوا بالأسلحة . وفي الاسكندرية وحصونها مايربو على عشرة آلاف جندي . والامداد والعساكر الاحتياطية ترد إليها بلا انقطاع . ويقول عرابي إن النبي يزوره كل ليلة ويأمل أن تقع الاساطيل المتحدة في فخ ينصبه ذلك أن يغرق مراكب محملة بالاحجار في البوغاز .

(٢)

برقية من مستر كارتر Cartwright قنصل جنرال انجلترا
إلى لورد جرانفيل وزير خارجيتها

الاسكندرية في ٢ يوليه سنة ١٨٨٢

سيدى اللورد

أتشرف باخباركم أن مجلس النظار قرر فى جلسته التى عقدها
أمس أنه نظرا لما شوهد من اتخاذ بعض استعدادات فى البوارج
الحرية أضحي من الواجب رفع عريضة إلى السلطان يلمس فيها
الترخيص بتعمير الحصون التى كان أوقف العمل فيها بأمر شاهانى ؟

(٣)

برقية من مجلس الاميرالية الانكليزية للأميرال سيمور

الاميرالية فى ٣ يوليه سنة ١٨٨٢

امنعوا كل محاولة يراد بها غلق مدخل البوغاز الموصل لليناء .
وإذا بوشر إعادة العمل فى الحصون أو نصبت فيها مدافع جديدة
فأخبروا قائدها الحربى بأن لديكم أوامر بالحيولة دون ذلك . وإذا لم
يوقف العمل فى الحال فدمروا الحصون وأسكتوا مدافعها إذا أطلقت
النيران . وهذا بعد أن تعطوا الأهالى والسفن التجارية والحرية
الأجنبية المهلة الكافية ؟

(٤)

برقية من الاميرال سيمور إلى مجلس الاميرالية البريطانية
الاسكندرية في ٤ يوليه سنة ١٨٨٢

نصب مدفعان جديدان في قصر فاروس (قلعة قايتباى) في
الليلة الماضية . وقوى حائطه المواجه للبحر أيضا . ويفضل القنصل
الجنرال أن أوجل توجيه الانذار إلى صباح يوم الخميس لكي يجد
الأوربيون فرصة للهجرة من القاهرة . ولم يحدث أى تغيير في الوجيهات
المشرفة على البحر . وطلب الاميرال الفرنسى استعلامات فوردت له
الاجابة من القائد الحربى ومن عرابى اللذين أرسلوا الاميرال المصرى
ليؤكد أنه ليس هنالك فكرة بعمل سد ما في مدخل البوعاز ؟

° ° °

وفي ٥ يوليه سنة ١٨٨٢ أخبر مسيو فريسنيه Freycinet رئيس
مجلس وزراء فرنسا لورد ليونز Lyons سفير انجلترا في باريس وهذا
بدوره بلغ لورد جرانفيل Granville أنه ورد إليه في الصباح بريقة
من الاميرال كونراد Conrad قائد الأسطول الفرنسى بالاسكندرية
عن التعليمات التى تلقاها الاميرال سيمور من أجل النيات
التي نسبت للحكومة المصرية وقيل عنها انها موجهة ضد الأسطولين
الفرنسى والانجليزى . ثم قال الوزير الفرنسى للسفير الانكليزى
إنه جمع مجلس الوزراء لبحث المسألة فقرر أن الحكومة الفرنسية
لاستطيع أن تعطى تعليمات للاميرال كونراد أن يكون مع الاميرال

سيمور وأن يمنع بالقوة بناء الحصون أو نصب المدافع فى ميناء الاسكندرية .

واستطرد مسيو فريسنييه فقال إن الحكومة الفرنسية تعد التصرف بهذه الكيفية عملا عدائيا هجوميا ضد مصر والاشتراك فيه لا يمكن أن يكون بدون اخلال بنص الدستور الذى يحظر الدخول فى حرب بدون موافقة مجلسى النواب والشيوخ . وإنه بناء على ذلك قد أرسل إلى الأميرال كوزراد تعليمات تقضى عليه ألا ينضم إلى الأميرال سيمور إذا وجه هذا انذارا نهائيا للمصريين يختص بتحسيناتهم وأن يتراجع إذا صمم الأميرال سيمور على اطلاق المدافع . ١٠ هـ

* * *

وبذلك أصبحت انجلترا مطلقة اليدين وحدها أمام مصر . وهذا الموقف هو الذى كانت تتوق إليه انجلترا لتنفيذ مقاصدها والحصول على بغيتها التى طالما تمنىها من أزمان بعيدة وقد مهد المصريون لها مع الأسف طريق الوصول إلى أمنيتها هذه بخرقهم ونزقهم وسوء تصرفهم .

(٥)

برقية من مستر كارترايت إلى لورد جرانفيل

الاسكندرية فى ٥ يولييه سنة ١٨٨٢

سيدى اللورد

أتشرف باخبار سعادتكم أن وكيل نظارة البحرية (المصرية)

توجه أمس بعد الظهر للأميرال سير بوشامب سيمور Beauchamp Seymour وقدم له تقريراً مطمئناً من جهة وضع العوائق في مدخل ميناء الاسكندرية وبعد ذلك بقليل تلقى الأميرال إجابة بالكتابة من قومندان الحامية وفيما يلي نصها :

« تلقى الخديو صباح اليوم رسالة برقية من السلطان تعلنه بأنه هو ووزرائه مسئولون إذا لم نوقف الأعمال في الحصون لأن أعمالنا كهذه ندعو الأسطول الانجليزى لضرب الاسكندرية . وسيجتمع مجلس الوزراء في هذا الصباح لا بلاغه هذا الأمر العالى للعمل بمقتضاه . »

(٦)

برقية من الأميرال سيمور إلى الأميرالية البريطانية

الاسكندرية في ٦ يوليه سنة ١٨٨٢

لقد أكد لي القائد العسكري ردا على مذكرتي المؤرخة بتاريخ اليوم بأنه لم يوضع أى مدفع جديد في الحصون ولم ينجز عمل ما . وصادق درويش باشا على صحة هذا التصريح . ولم تحدث أية إشارة تدل على القيام بأعمال جديدة من بعد ظهر أمس . ويجوز أن ذلك إنما كان امثالاً لأمر السلطان . وانى لا أتردد في الضرب إذا واصلوا هذه الأعمال . وقد تلقى الأميرال الفرنسى الأوامر بالتراجع هو وبوارجه إذا بدى بالعدوان ؟

وفي ٧ يوليه سنة ١٨٨٢ وجه قناصل الدول الكبرى الجنرالية
بالاسكندرية إلى الأميرال سيمور المذكرة الاجماعية الآتية :-

(٧)

الاسكندرية في ٧ يوليه سنة ١٨٨٢

إن وفرة مصالح رعايانا الكثيرى العدد بالاسكندرية الآن
والذين لهم أملاك جسيمة جداً تضطرننا أن نستعلم من جنابكم عما إذا
كنتم تعتبرون إجابة الحكومة المصرية الخاصة بالتحصينات مرضية .

ونحن نرى أنه في مقدورنا أن نحصل على تأكيدات منها
ترضيكم الرضاء التام إذا كان لم يزل ينراى لكم أن الأجابة المذكورة
غير وافية . وستصيرونا شاكرين غاية الشكر إذا عرفتمونا أن هذه
المسألة قد سويت وانتهت . أما إذا كان الأمر على نقيض ذلك
فأفيدونا عن نعتد عليه في ترحيل رعايانا . وعلى أى حال لا يمكن
أن يتم ضرب الاسكندرية بدون أن يجر أخطارا جملة على المسيحيين
والأهالى معا ولا بدون تدمير مالا يحصى من أملاك الأوروبيين .
وستقبل بمزبد السرور تكرمكم برفع هذه الملاحظة إلى حكومتكم قبل
أن تنفذوا أوامرها التي صدرت بشأن هذه المسألة .

الامضاءات

دى فورجس . بارون سورما . دى مارتينو

دى لكس . بارون كسجك

وفي ٧ يوليه سنة ١٨٨٢ أجاب الأميرال سيمور على هذه
المذكرة الاجماعية بالخطاب الآتى :-

(٨)

من ظهر المدرعة انفسيل باسكندرية ٨٢/٧/٧

سادق .

اتشرف باخباركم بوصول مذكرتكم الاجماعية التي
بعثتم بها الى اليوم تسألونني فيها عما إذا كنت مرتاحا من اجابة القائد
العسكرى على خطابى الذى أرسلته اليه أمس . وانى أشكركم كثيرا
على ما عرضتموه على من الحصول من القائد العسكرى على اجابة
مرضية اذا كنت أرغب فى تأكيدات منه أوفى من الأولى كما أرجو
أن تتقبلوا وافر شكرى على الاقتراح الذى تلتفتم بتقديمه الى .
فاذا كان نفوذكم لدى القائد العسكرى يمكن أن يحمله على
التصرف باخلاص وبحول دون استمراره فى أعمال التحصينات فانكم
بذلك تصيبون الهدف المقصود . لأن التأكيدات المكتوبة منها تكن
عباراتها ، قليلة القيمة بالنسبة للبصالح التي أوتمنت عليها .

ويلزمنى أن ابين لكم أنى لا أنوى ولا قلت مطلقا انى أقصد
أن أضرب مدينة الاسكندرية فان أعمال الحربية إذا أمست ضرورية
فستوجه الى الحصون ولا أرى سببا للخوف من وقوع تلف
يصيب الأملاك الخصوصية الى أنتم من أجلها فى وجل . وسأبلغ
حكومة جلالة الملكة الملاحظة التي لفتتم نظرى اليها فى الفقرة الأخيرة

من خطابكم . ويجب أن أحرص مع التدقيق على نص بلاغى الذى أرسلته الى القائد الحربى حينما تحدث أدنى محاولة يقصد بها العودة إلى أعمال دفاعية .

وعلى أى حال فسيعطى انذار نهائى مدته ٢٤ ساعة فقط . واتشرف الخ .
الامضاء

بوشامپ سيمور
أميرال ورئيس القيادة

* * *

ويرى من مذكرة القناصل الجنرالية السالفة أنهم بذلوا كل جهودهم فى سبيل تجنب وقوع الحرب وهذا أمر يستوجب لهم الشكر كما يرى أيضا من إجابة الأميرال التصلب ليسد الباب أمام كل تسوية يمكن الاهتداء اليها . لأنه فى اليوم نفسه أرسل بلاغا إلى القائد الحربى هذه صورته :-

(٩)

من ظهر البارجة انقشيل فى ٧ يوليه سنة ١٨٨٢
صاحب السعادة .

أتشرف باخباركم انى علمت من طريق رسمى أن مدفعين جديدين نصبوا أمس فى خطوط الدفاع المشرقة على البحر وأن بعض استعدادات حرية على وشك النجاز فى واجهة الاسكندرية الشمالية الغرض منها تهديد الاسطول الذى تحت قيادتى . فيجب على والحالة هذه أن اعلنكم انكم ان لم تأمروا بالاقلاع عن هذه الأعمال

أو تكونوا قد أمرتم بالاقلاع عنها يكن من واجبي ضرب
الحصون الجارى فيها البناء .

واتشرف بأن أكون الخ . ٩

الامضاء
بوشامب سيمور
أميرال ورئيس القيادة

وأرسل اللواء طلبه عصمت باشا القائد الحربى الاجابة الآتى نصها :-

(١٠)

الاسكندرية فى ٢٠ شعبان سنة ١٢٩٩ - ٧ يوليه سنة ١٨٨٢ م :-

عزيزى الاميرال الانجليزى .

أتشرف بأن انبشكم بوصول خطابكم المؤرخ يوم ٦ يوليه الذى
تذكرون فيه انه اتصل بكم تركيب مدفعين وأن اعمالا أخرى على
وشك أن تقام على شاطئ البحر . فردا على ذلك أريد أن أؤكد لكم
أن الأخبار المذكورة عارية عن الصحة وأن هذه الأخبار مثل خبر
التهديد بسد مدخل البوغاز الذى اتصل بكم وتحقق كذبه .

هذا وأنى لوائق من شريف عواطفكم المتشعبة بروح الانسانية .

وأرجو قبول احتراماتى ٩

الامضاء
طلبة عصمت
قائد القوة

وأرسل الخديو توفيق إلى الباب العالى فى ٧ يوليه

سنة ١٨٨٢ م البرقية الآتى نصها :-

(١١)

الاسكندرية في ٧ يوليه سنة ١٨٨٢ .

من اليوم الذى انقطعت فيه الأعمال حسب أمر جلالة
السلطان لم نقم بأى عمل إلى الآن . وقد أذيعت اشاعة مضمونها
أن الحكومة تنوى سد مدخل ميناء الاسكندرية وانها تتخذ غير ذلك
من التدابير الحرية . وقد توجه قنصلا إنجلترا وفرنسا الى راعب باشا
للقوف على الحالة منه فأكد لهما أن هذه اشاعات ليس لها أدنى
نصيب من الصحة وان فكرة هذه التدابير لم تخطر بالبال . وبما أن
ميناء الاسكندرية مزدحمة بالبوارج الحرية فهذه الحالة تخول لكل
بارجة من هذه البوارج حجز كل سفينة تحمل مدافع . وقد أخطر
رئيس النظرار ناظر البحرية بذلك ، فخرج القنصلان راضيين من هذا
البيان . وفى الوقت نفسه كتب الاميرال الى قائد الجنود بالاسكندرية
خطابا صرح فيه بأنه مادامت النية معقودة على سد الميناء فيلزمه هو
أيضا أن يتخذ احتياطات لوقاية نفسه . فأجابه القائد بأن هذا الخبر
ليس له صحة . وذهب بعد ذلك ناظر البحرية وأكد للأميرال الانجليزى
هذه التأكيدات فشكره ووعد أن يخبر بذلك حكومته . الامضاء
محمد توفيق

* * *

ولكن كل هذه التصريحات السلبية المطمئنة لم تكف الأميرال
سيمور وصمم تصميمها نهائيا على ضرب قلاع المدينة بقنابل اسطوله
متنذرا بالأسباب التى سبق ذكرها وأرسل البرقية الآتية :-

— ٥٧ —

(١٢)

برقية من الأميرال سيمور الى الاميرالية الانجليزية .

الاسكندرية في ٩ يوليه سنة ١٨٨٢

ايما الى برقيتي المؤرخة في يوم ٤ يوليه سنة ١٨٨٢ أقول
انه ليس هنالك أدنى ريب فيما يتعلق بالتسليح . واني سأخطر قناصل
الدول الأجنبية غدا عند شروق الشمس وأشرع في الضرب بعد ٢٤ ساعة
ان لم تسلم الى الحصون القائمة على البوغاز والتي تشرف على مدخل الميناء ؟

* * *

وعزز مستر كارترايت هذه البرقية بالبرقية الآتية : -

(١٣)

برقية من مستر كارترايت الى وزير الخارجية البريطانية .

من ظهر البارجة هليكون Helicon بالاسكندرية في ٩ يوليه سنة ١٨٨٢

سيدى اللورد

اتشرف باخباركم انه اتصل بالاميرال سير بوشامپ سيمور
ان مدفعين جديدين نصبوا صباح اليوم بحصن السلسلة القائم تجاه
الميناء الجديدة .

ولا يستطيع الأميرال أن يلازم الصمت حيال هذا العمل
العدائي فقرر أن يطلق النار عند شروق شمس يوم الثلاثاء ١١ الجارى .
ولقد أخطرت في هذا المساء القناصل الجنرالية والخطديو

ودرويش باشا . وسأعمل الترتيبات اللازمة لترحيل جميع الرعايا
البريطانيين على البواخر في هذا المساء أو غدا صباحا .

* * *
ويؤخذ من شهادة الضابط الذى نقل الخبر الى الاميرال أن
المدفعين المذكورين كانا من الطراز القديم أى انهما لم يكونا من نوع
الششخانة بل كانا من المدافع الملسماء التى ليس لقنابلها قوة لاصابة المرمى
البعيد حتى تصيب هذه البوارج وتخترق دروعها فتحدث الضرر لهذه
السفن . وحصن السلسلة هذا من ناحية أخرى واقع خارج منطقة القتال
ولذلك فانه عندما حشدت سفن الأسطول عصر يوم الضرب لاطلاق
قنابلها على حصن قايتباى لم تعر حصن السلسلة أدنى التفات مع انه
صوب اليها بعض القنابل . فذعر الاميرال كان فى غير محله .

ويقول احمد شفيق باشا فى مذكراته ص ١٦٣ أن مستر
كارتر ايت أشار على الخديو توفيق أن ينزل هو وأسرته الى احدى
البوارج الانجليزية ليكون فى مأمن مما عساه أن يصيب سراى
رأس التين لأنها عرضة لقذائف المدرعات فأبى . وهذه المشورة
لم تدون فى الكتاب الأزرق عن سنة ١٨٨٢ م غير أنه يؤخذ من
رسالة برقية مرسله من مستر كارتر ايت الى لورد جرانفيل فى ٧ يولييه
سنة ١٨٨٢ م أن هذا الأمر حدث فعلا . واليك نص هذه الرسالة :-

(١٤)

الاسكندرية فى ٧ يولييه سنة ١٨٨٢ .

أتشرف باخبار سعادتك أن سمو الخديو أرسل فى طلب سير

أوكلاند كلفن Auckland Colvin فى ضحوة هذا اليوم ليعرض عليه خطة السير التى ينوى سموه اتخاذها فى هذه الظروف .

فلقـد نوى سموه فى الحالة التى يستقر فيها الرأى على الضرب أن يبقى فى الديار المصرية . وهو يقول فى تعليل ذلك انه لا يستطيع أن يترك جميع أولئك الذين ظلوا فى معيته وأولوه فى غضون هذه الفتنة لإخلاصهم ، كما أنه من جهة أخرى لا يستطيع أن يهجر مصر إذا أغارت عليها دولة أجنبية إذ يقال حينئذ انه بارحها لينجو بنفسه . أما إذا احتلت الترك مصر وصادف هذا الاحتلال مقاومة فان سموه ودرويش باشا يعلنان الجيش عندئذ بأنهما بصفتهما من رعايا السلطان المخلصين لجلالته لا يكونان قد أدبا واجبهما إذا عضدا هذه المقاومة . وفى هذه الحالة ينطلقان بأحسن الوسائل الممكنة الى يخت درویش باشا . وأعرب سموه عن نيته فى الانصراف هو ودرویش باشا الى أحد القصور القائمة على شاطئ المحمودية اذا كان الضرب من جانب الأسطول الانجليزى وانه بقدر الاسراع فى انجاز الضرب يقل الخطر الذى يحقق بشخص الخديو .

وكان سموه أثناء هذه المقابلة رابط الجأش يتكلم بصوت هادى واختتم الحديث بتوجيه الرجاء الى سير أوكلاند أن يبلغ قراره هذا الى سعادتك .

ولقد عقدت العزم على أن أخبر درویش باشا انه فى حالة حدوث ضرب تلقى حكومة صاحبة الجلالة البريطانية عليه مسئولية

— ٤٠ —

سلامة الخديو الشخصية وأمنه .

ولى الشرف . الخ .. ٩
الامضاء
كارترائت

وفي اليوم التالى ورد الى مستر كارترائت من لورد جرانفيل
الرد بالبرقية الآتية :-

(١٥)

وزارة الخارجية البريطانية فى ٨ يوليه سنة ١٨٨٢
تصادق حكومة صاحبة الجلالة البريطانية على البلاغ الذى
أخبرتمونا عنه ببرقيتكم أمس التى ذكرتم فيها أنكم تنوون عندما تدعو
الحالة لضرب الحصون أن تلقوا على عاتق درويش باشا مسؤولية
أمن الخديو وسلامته .

وانا لكم . الخ ...
الامضاء
جرانفيل

* * *

ومن المرجح أن المشورة التى عرضت على الخديو بضيافته
على ظهر سفينة حرية انكليزية كانت لغرض سياسى لالشيء آخر .
لأن وجود حاكم البلد فى احدى سفنهم يجعل لضربهم صبغة
شرعية كما حدث بعد ذلك فى حركاتهم العسكرية التى افضت الى
احتلال البلاد .

وعلى كل حال فاجابة الخديو تشرفه ، ولكن بما يؤسف له
أنه لم يتبع هذه الخطة معهم الى النهاية .

— ٦١ —

وأرسل مستر كارترائيت الى قناصل الدول الجزالية وفقاً للبرقية
التي بعث بها الى لورد جرانفيل المذكورة الآتية :-

(١٦)

الاسكندرية في ٩ يولييه سنة ١٨٨٢

سيدى

أتشرف باخباركم أنه من المرغوب فيه إعلان كافة الأشخاص
التابعين لحكومتم بأن يكونوا فى البواخر الراسية فى الميناء فى مدة ٢٤
ساعة تمر من تاريخ هذا الإعلان ٩

وكتب أيضاً مستر كارترائيت الى درويش باشا الخطاب الآتى :-

(١٧)

الاسكندرية في ١٠ يولييه سنة ١٨٨٢

الى صاحب السعادة

بناء على بلاغ الاميرال سير بوشامپ سيمور الذى وجهه الى
قائد الاسكندرية الحربى فى صباح هذا اليوم أرائى بصفتى وكيل وقنصل
جنرال حكومة صاحبة الجلالة البريطانية بالنيابة ، مضطراً الى أن
أخلى وكالة جلالتها بالاسكندرية وأن أقطع مؤقتاً العلائق التى كانت الى
الآن بينى وبين نظارة الخارجية المصرية .

ثم أخبركم بأتى مكلف بأن أعلن سعادتم بالضرورة الماسة
لكفالة سلامة سمو الخديو فى كل الظروف ، وان حكومة جلالته الماسكة
تأمل من سعادتم أن تشمّلوا وقاية سموه وأسرته بكل أنواع

الاحتياطات التي تستدعيها الأحوال باستعمال نفوذكم المستمد من نيابتكم عن جلالة السلطان . وانكم لتعلمون ان سموه لا ينكص أمام الأخطار الجسيمة التي يعرضه لها موقفه الحالى بسبب تحمله أوفر نصيب مما تفرضه عليه الواجبات . فحكومة صاحبة الجلالة البريطانية كلفتني أن أعلم دولكم بأن عليكم - بحسب رأيها - مسئولية وقاية سموه من كل خطر ودرء الأخطار التي يمكن أن تحيط بسموه في أثناء هذه الحوادث ؟

فأجابه درويش باشا بالجواب الآتى :-

(١٨)

الاسكندرية في ١٠ يولييه سنة ١٨٨٢

عزيزى نائب القنصل الجنرال

تسلمت خطابكم المؤرخ في ١٠ الجارى الذى شرفتموني بارساله لىّ ويمكننى أن أؤكد لكم أنى بذلت كل جهدى فى القيام بالمهمة التي تفضل جلالة السلطان وعهد بها الىّ .

ولقد عز علىّ أن أدرك السبب الذى من أجله انساق الأسطول الانكليزى فجأة منذ أمس الى ابداء هذه النيات العدوانية بعد أن لبث مدة مديدة ملقياً مراسيه فى ميناء الاسكندرية لم يظهر فى خلالها إلا اميالا سلبية .

إن العلائق الودية بين السلطنة العثمانية وبريطانيا العظمى مازالت باقية . وحيث إن مصر هى إحدى ولايات السلطنة فكان

في استطاعة جناب الأميرال أن يعرض أولاً وجوه شكايته التي استوجبت التدابير التي اتخذها ، بطريقة ودبة . وكان في الامكان مراجعتها والنظر في وسيلة للاملافة الشر . وهى ظهر مرتكبو الاعمال التي أوجبت الشكوى يكن في الاستطاعة ليزال العقاب بهم .

ويبدو لى اتنا لو تصرفنا بهذه الطريقة لكان الأمر قد آل إلى توطيد العلاقات الودية بين المملكتين عوضاً عن الانسياق في تيار العدوان .

ولقد أتاحت الفرصة لسعادة راغب باشا ولوكيل نظارة البحرية ان يؤكد لكم وللأميرال أنه لم يخطر ببال الحكومة المصرية أن تعمل أى عمل يكدر صفو هذه العلاقات الحسنة .

ومن المهم البحث عن تقع عليه المسؤولية اذا كان جواب تصريحات حكومة متشعبة بروح المحبة وحسن النية قد قدمت كل الوعود والتأكيدات الضرورية ، هو القيام بأعمال عدوانية لاتستند الى المبادئ التي تسود العلاقات بين دولتين متحابتين .

أما التنبية الذى وجهتموه الى أن أكفل بكل مالى من الوسائل سلامة سمو الخديو فيجب على أن ألفت أنظاركم الى أنه ليس من الصواب إيجاد تمييز بين شخصية سمو الخديو توفيق باشا السامية وحكومته . وإنه لمن الطبيعى جدا ان سموه مازال يعنى بسلامة وهناء البلاد التي يحكمها أكثر مما يعنى بسلامة شخصه .

— ٦٤ —

وتفضلوا بقبول الخ... ٩
مندوب جلالة السلطان
الامضاء
درويش

وأرسل الأميرال سيمور من جهة أخرى إلى قائد الاسكندرية
الحربي الرسالة الآتية :-

(١٩)

من ظهر البارجة انفسيل بالاسكندرية في ١٠ يولييه
سنة ١٨٨٢

صاحب السعادة .

اتشرف باخبار سعادتك أنه نظراً لحدوث استعدادات
حريية آخذة في الازدياد منذ يوم أمس في حصون السلسلة وفاروس
(قايتباى) وصالح . وهذه الاستعدادات موجهة بالطبع الى
الاسطول الذى تحت قيادتي، قد عقدت العزم على أن أنفذ غداً
(١١ الجارى) عند شروق الشمس العمل الذى أعربت لكم
عنه في خطابي المؤرخ يوم ٦ الجارى إن لم تسلبوا لي حالا قبل
هذه الساعة البطاريات المنصوبة على برزخ رأس التين وعلى شط
ميناء الاسكندرية الجنوبي لمنع التسليح بها .

ولى الشرف الخ... ٩
الامضاء
سيمور

ولكى يستطيع القارىء أن يتبين الخطر الطفيف الذى كان الأسطول الانكليزى مستهدفاً له أورد هنا شهادة رجل انكليزى هو مسنر رويل Royle الذى كان محامياً بالاسكندرية ثم عين مستشاراً بمحكمة الاستئناف الأهلية . فقد ذكر فى مؤلفه ذى اچيشيان كامپنز The Egyptian Campaigns ص ٦٣ هذا الانذار النهائى ثم قال : إن الخطر الذى كانت تستهدف له بوارج الأدميرال من جراء الاستعدادات المصرية لم يكن إلا خطراً وهمياً فى ذلك الوقت . ولو فرضنا وكان خطراً حقيقياً لكان فى الامكان السلامة منه والبعد عنه اذا غير الأدميرال موقف سفنه تغييراً طفيفاً .

وقد أمسى فى الوقت نفسه تهديده بضرب الحصون بعد حوادث ١١ يونيه سنة ١٨٨٢ من بعض الوجوه ضرورياً حتى لو لم يكن ذلك إلا لاعادة كرامة الأوربيين . وفضلاً عما ذكر فانه كان يمهّد بهذا الضرب أول خطوة فى سبيل ملاشاة سطوة عربى وجيشه الذى كان محشوداً إلى حد كبير بالاسكندرية . اهـ

والقسم الأول من هذا الكلام يطابق الحقيقة . أما القسم الثانى فالغرض منه تلطيف هذا الفعل بادماج الكرامة الاوربية فيه حتى كأن الدول الأخرى قد فوضت انجلترا فى القيام بهذا العمل نيابة عنها .

وأرسل أيضاً مستر كارترايت إلى راغب باشا رئيس النظار

الخطاب التالي :-

(٢٠)

من ظهر البارجة تانچور Tanjore بالاسكندرية في ١٠ يوليه سنة ١٨٨٢

سیدی الوزير .

بناء على البلاغ الذى قدمه الاميرال سير بوشامپ سيمور فى هذا الصباح الى القائد الحربى بالاسكندرية ، ارانى مضطراً الى أن أخلى قنصلية صاحبة الجلالة البريطانية وأن أقطع الآن العلاقات التى كانت بين سعادتكم وبين شخصى بصفى اتى وكيل وقنصل جنرال بالنيابة عن جلالته فى مصر .

الامضاء
كارتر ايت

ولى الشرف الخ... ٩

* * *

ولما تلقى راغب باشا هذا البلاغ ولم يكن قد اطلع من قبل على الانذار النهائى طلب من مسيو دى مارتينو de Martino قنصل جنرال ايطاليا وأقدم السفراء أن يتكرم باستدعاء زملائه الفرنسى والالمانى والنمساوى والروسى على ظهر المدرعة الايطالية (كاستلفيداردو Castelfidardo) فى محل وجودها ليقوموا بمساع أخرى لدى الاميرال . وفعلوا لى القنصل الطلب واستدعاهم ولكنهم بعد أن اجتمعوا ظهر لهم أن الوقت قد فات .

ولما ذهب راغب باشا بصحبة عبد الرحمن بك رشدى ناظر المالية وتجران بك سكرتير مجلس النظار وقابلوا مسيو دى مارتينو فى

نحو الساعة الحادية عشرة صباحا لم يستطع الا أن ينصح راغب باشا أن يسعى هو بنفسه لدى الأميرال فتوجه رئيس النظار ورفيقاه الى البارجة انفسيل وهناك تلقى الانذار النهائى . وبعد مناقشة طويلة قبل الأميرال تلطيفا فى شروطه لم يكن فى الحقيقة إلا تغييرا طفيفا وهو ينحصر فى انزال كافة المدافع التى فى الحصون المشرقة على البحر وأن يقوم بهذه العملية الجنود المصرية تحت اشراف ضباط من الانكليز وبارح راغب باشا ورفاقه سفينة الأميرال بعد أن وعد بارسال الاجابة فى المساء وتوجهوا فى الحال الى قصر رأس التين وعرضوا على الخديو ودرويش باشا نتيجة سعيهم . فطلب الخديو عقد جلسة غير عادية لفحص الموقف وتمحيصه حضرها (١) الخديو توفيق (٢) المشير درويش باشا (٣) قدرى بك سكرتير المشير (٤) السيد احمد أسعد عضو الوفد العثمانى (٥) اسماعيل باشا راغب رئيس النظار وناظر الخارجية (٦) احمد باشا راشد ناظر الداخلية (٧) عبد الرحمن بك رشدى ناظر المالية (٨) أحمد باشا عرابى ناظر الجهادية والبحرية (٩) على باشا ابراهيم ناظر الحفانية (١٠) سليمان باشا اباضه ناظر المعارف (١١) محمود باشا الفلكى ناظر الاشغال (١٢) حسن باشا الشريعى ناظر الأوقاف (١٣) لطيف باشا من نظار البحرية السابقين (١٤) حافظ باشا من نظار المالية السابقين (١٥) محمد باشا سلطان رئيس مجلس النواب (١٦) اسماعيل باشا حتى ابو جبل عضو مجلس الشيوخ (١٧) محمد باشا سعيد عضو مجلس الشيوخ (١٨) محمد باشا كامل وكيل نظارة البحرية (١٩) قاسم باشا من وكلاء نظارة

البحرية السابقين (٢٠) محمد باشا المرعشلى مدير التحصينات العام السابق (٢١) محمود باشا فهمى مفتش التحصينات العام (٢٢) طلبة باشا عصمت القائد الحربى للاسكندرية (٢٣) تجران بك سكرتير مجلس النظار .

وكانت الجلسة متحمسة كثيرا والمناقشة حادة جدا والآراء متضاربة إلى أقصى حد . ويبدو أن حافظ باشا واسماعيل باشا ولطيف باشا كان من رأيهم التسليم بشروط الأميرال . ويقول أحمد باشا شفيق فى مذكراته ص ١٦٢ إن درويش باشا توجه إلى طابية الفنار مع محمد ياور افندى من ضباط الحرس الخديو لاختبارها واختبار المدافع المنصوبة فيها وقال فى هذا المجلس إنه بصفته من ضباط المدفعية يقرر أن الحصون والمدافع التى بها لا تستطيع مطلقا أن تقاوم مدافع المدرعات الانكليزية . وقال أيضا انه لو وثق بأن مصر تستطيع المقاومة لتولى بنفسه قيادة جيشها ولذا نصح لعرابى باشا بقبول طلبات الأميرال سيمور .

وأذكر هنا حجة أخرى قيمة جدا هى مقاله مرعشلى باشا مدير التحصينات العام السابق الذى حضر هذا الاجتماع الحافل وأبدى رأيه فى هذه المشكلة ونحن نرى رأيه هذا رأى رجل عاقل جدا فضلا عن أنه اخصائى ملم بمهنته تمام الامام . ولكن بما يؤسف له أشد الأسف أن الآراء الحصيفة التى يمثلها رأى هذا الخير تهمل ولا يعمل بها فى وسط ساد فيه التحمس . وهالك قطعة من تقريره الذى قدمه الى لجنة التفتيش التى تألفت لمحكمة المدينين فى هذه الحوادث وفيه اثبت هذا الرأى ، نثبها هنا بنصها قال :—

فى يوم الأحد ٢٢ شعبان سنة ١٢٩٩ (٩ يوليه سنة ١٨٨٢)
وردت لنا بوصلة من سعادة أحمد باشا رشيد ناظر الداخلية هذه صورها :

بناء على التلغراف الوارد لنا من عطوفتو رئيس مجلس النظار
باسكندرية مقتضى توجه سعادتك لاسكندرية بالوابور المخصوص القائم
من مصر يوم تاريخه بعد الظهر بربع ساعة للبداكرة فى مسألة مهمة .
فالأمل التشريف بالحضور لمحطة مصر فى الميعاد المرقوم لأجل التوجه
معنا نحن وبعض سعادات الذوات المتوجهين أيضا أفندم ؟

فبناء على هذه البوصلة قد توجهنا إلى الاسكندرية فى ليلة
٢٣ شعبان سنة ١٢٩٩ (١٠ يوليه سنة ١٨٨٢ م) وفى صباح اليوم
المذكور باجتماع المجلس بسراى رأس التين مركبا من هيئة النظار
والذوات الملكية والجهادية وجد إعلان وارد من أميرال دوناتمة
الانكليز مذكور به أنه بعد صدور أمر الدولة العلية بتوقيف
تصليح الاستحكامات وتركيب المدافع والتجهيزات الحربية الجارية
بمعركة عرابى ورفقاء ضد الدوناتمة قوماندانيتى وصدور أمر الحضرة
الخدوية إليهم بذلك وامتثالهم لهذا الأمر لم يزالوا جارين التجهيزات
ليلا ونهارا لغاية أمس وأجروا تركيب ثلاثة مدافع بأحدى
الطوابى فلعدم امتثالهم للأوامر وبناء على الأمر الصادر لى من
دولتى مجبور بضرب الطوابى باكر صباحا وإلا يصير نزول المدافع
من على قناديقها للأرض مؤقتا حتى تنتهى المسئلة . ومن أجل ذلك
توجه عطوفتو راغب باشا مع سعادة عبد الرحمن بك ناظر المالية

وسعادة قاسم باشا وكيل البحرية سابقا إلى الأميرال بالبحر لأجل
 المرسى معه عن ذلك . وبعد عودتهم عرفوا بأن الأميرال لم يزل
 مصمما على رأيه فلذلك انعقد المجلس ثانيا بعد الظهر تحت رئاسة
 الحضرة الخديوية . وبالمداولة فيه كان العرض للأعتاب من سعادة
 محمود باشا الفلكي عن لزوم النظر في أخف الضررين إما قبول
 الضرب أو نزول المدافع . ولذا يلزم السؤال عن أحوال الطوابى
 ومدة مقاومتها لمقذوفات مدافع الدونامة من مرعشلى باشا حيث
 أنه خبير بذلك . فبوقته سألتى حضرة الخديو عن ذلك فكان
 جوابى إن صاحب الوظيفة الآن محمود فهمى يسئل منه . وتوجيه
 السؤال إليه أجاب بأن طوابى سواحل اسكندرية تقاوم مقذوفات
 الدونامة مدة ثلاثة شهور . فبوقته فهمت من مجابته أنها إما أن تكون
 على جهل منه أو لغرض تقوية عزم العصاة . وباعادة استفسام
 الحضرة الخديوية منى عن ذلك أجبت بأن طوابى اسكندرية
 لا تتحمل أكثر من أربع وعشرين ساعة إذا كان الضرب مستمرا
 وفي ظرف أربع أو خمس ساعات تتخرب الطوابى وأغلب المدافع
 تلتقى على الأرض من إصابة المقذوفات لكونها مكشوفة ويكون
 بداخل الطوابى مثل مجزرة من العساكر القتلى المصايين من الكلال
 والشرنبالات ومن انتشار قطع الأحجار التى تصادها الكلال فى الأبنية
 العالية . وهذا لكون الطوابى المذكورة مبنية من زمن مديد
 بالنسبة لمقاومة الأسلحة القديمة . والأسلحة الجديدة لها تأثير أكبر

من الاسلحة القديمة . والمراكب الخشب تغيرت بمراكب زرخ .
وأما تلك الطوابى فانه لم يحصل فيها تغير . فاذا كان التصميم على
الضرب فالأحسن لأجل حقن دماء العساكر لا يلزم دخولها بالطوابى
وقت الضرب . فكانت المعارضة لى من محمود فهمى بأقواله إنه حضر
بحاربة حدود الصرب وانه نظر تأثيرات كلل وشرنבלات بكثرة
وما كان يخاف منها . كذا عارض طلبة أيضا بقوله نحن يلزمنا
أن نذبح بكلة الانكليز تحت المدافع ولا نتركها بدون عساكر .
وكذا عارض عرابى بقوله انه إذا تركنا الطوابى بدون عساكر
فان الانكليز بعد أن يخربوها فى الحال توضع بها بنديرات الانكليز .
وقال أيضا هل كلل الانجليز تؤثر بطواينا وكللنا لا تؤثر بالمراكب .
فكانت المجاوبة منى لعرابى أن المدافع التى بطواينا تأثيرها فى المراكب
قليل جدا وأغلب المدافع من الطراز القديم ولا يكون لها أدنى تأثير
فى مراكب الزرخ وفضلا عن ذلك فأن مدافعهم وعساكرهم فى داخل
أود من الحديد وأما عساكرنا ومدافعنا فأنهم فى الكشف تنزل عليهم
الشرنבלات والكلل بكثرة مثل المطر وتلفهم فى أقرب
زمن . وأما القول عن الانكليز انهم بعد تخريب الطوابى
يضعون البنديرة بها فهذا ليس من السهل بما أنهم ليسوا هم من
الطير حتى يمكنهم من مسافة نحو الألف وخمسمائة متر أن يطيروا
ويدخلوا الطوابى لأنهم متى أرادوا التوجه على الطوابى يلزمهم
تنزيل عساكرهم فى صنادل لأجل طلوعهم على الساحل . فبوقتها

يلزم على العساكر التي في البر أن يستعدوا للدافعة وعدم ترك الانكليز لأن يطلعوا على البر . وفي ذلك صعوبة جدا للمهاجرين بالنسبة لفن الحرب . فما كان يقبل أقوالنا وطعن في حقنا . ونحن كذلك جاوبناه بما لزم . وترتب على ذلك أن اكتسبنا زيادة عداوة مع المذكورين علاوة على العداوة الأصلية الناتجة منها اخلاؤنا من الوظيفة . وكانت مجاوبتنا لهم بما ذكر لأجل تخويف العصاة وارتجاعهم عن المقاومة وتنزيل المدافع بما أن ذلك أخف الضررين . ثم بعد تلك المحاورات التي حصلت بالمجلس في مساء يومها جهزوا العساكر طوبجية وبيادة وأهالي متطوعين بطوابي الساحل . وفي الصباح حصل الضرب من الطرفين . وبحال الضرب تلاحظ أن الضرب من المراكب ما كان إلا للطوابي التي بها العساكر فقط وتركوا الطوابي التي لم يكن بها عساكر بدون ضرب . ثم تلاحظ أن رؤساء العصاة بدلا عن أنهم يصيرون بالطوابي حال الضرب حتى يصير جزرهم تحت المدافع كأقوالهم بالمجلس هربوا وتوجهوا إلى طاية الدماس المنيعه وأخفوا أنفسهم تحت العقودات من ضرب الكال حتى تسبب مما حصل من اجراآتهم وحالة الضرب مهاجرة الأهالي فتركوا أمتعتهم وأموالهم وهم في اسوأ حال . وكذا الذوات السابق حضورهم من المحروسة هاجروا معهم . ومن ذلك اتضح تأييد صحة أقوالنا التي أبديناها بالمجلس بشأن عدم وضع عساكر بالطوابي فاذا كان لم يحصل مبارزة العصاة بوضع عساكر بالطوابي

كما أورينا ما كان الاميرال يأمر بضربها ولا كان يحصل شيء من التلفيات . ثم لما رأينا هذه الحالة وبتهدى من العصاة بالكلام حال وجودى معهم وقت الضرب بطايرة الدماس مع أغلب النظار وعدم وجود منزل لنا ولا مأوى باسكندرية ولم يكن لى وظيفة تستوجب ابقاءنا بها فضلا عن صعوبة الحالة التى كانت حاصلة وخشية من حصول اضرارى من العصاة لما نظر من أحوالهم وعدم استعدادى بلوازم الإقامة باسكندرية ، حضرنا مع الذوات إلى المحروسة الخ الخ .. ١٠٠ هـ

وهناك رواية أخرى عن هذا الاجتماع رواها ميسيو بيوفيس Biovés فى الصفحة ١٥٠ من كتابه (الفرنسيون والانكليز فى مصر Français et Anglais en Egypte) وهذه الرواية لم أنقلها هنا . إلا بعد أن تحققت من مطالعة هذا الكتاب أنه من أحسن الكتب التى سطرت عن هذه المأساة المحزنة وأن مؤلفه كان مسموحا له بالاطلاع على جميع المستندات الرسمية لذلك الحادث المشؤم . وفوق هذا فإن معلوماته مستقاة من مصادر صحيحة معتبرة . وإليك ماقاله فى هذا الصدد :-

لقد كان الخديو توفيق يرغب فى عقد اتفاقية صلح شريفة بينه وبين الانكليز ولكن هذا المطمح أثار غضب المشير (درويش باشا) الذى ضرب المائدة بقبضة يده وصاح قائلا : لاتنسوا أنكم جميعا عبيد السلطان الذى مقره بالآستانة ، وليس هنا محل

للبداولة ، وتسليم الحصون المصرية أمر يكسو المسلمين ثوب الخزى والعار . اهـ

أما أنا شخصيا فأرجح أن درويش باشا كان معارضا لطلب الأدميرال سيمور كما يستفاد من منطوق الخطاب السالف الذكر الذى بعث به إلى مسر كارتر ايت .

ومهما يكن بين هذه الروايات من التناقض فقد تقرر بعد المناقشة إبلاغ الأدميرال فى ١٠ يولييه سنة ١٨٨٢ القرار التالى ردا على انذاره :-

(٢١)

لم تعمل مصر شيئا يقضى بإرسال هذه الأساطيل المتجمعة . ولم تعمل السلطة المدنية ولا السلطة العسكرية أى عمل يسوغ مطالب الأدميرال إلا بعض اصلاحات اضطرارية فى أبنية قديمة . والطوابى الآن على الحالة التى كانت عليها عند وصول الأساطيل . ونحن هنا فى وطننا وبيتنا . فمن حقنا بل من الواجب علينا أن نتخذ عدتنا ضد كل عدو مباغت يقدم على قطع أسباب الصلات السلية التى تقول الحكومة الانكليزية إنها باقية بيننا .

ومصر الحريصة على حقوقها الساهرة على تلك الحقوق وعلى شرفها لا تستطيع أن تسلم أى مدفع ولا أية طاية دون أن تتركه على ذلك بحكم السلاح .

فهى لذلك تحتج على بلاغكم الذى وجهتموه اليوم وتوقع مسئوليات

جميع التأتج المباشرة وغير المباشرة التى تنجم إما عن هجوم الأساطيل أو عن إطلاق المدافع على الأمة التى تقذف فى وسط السلام القنبلة الأولى على الاسكندرية المدينة الهادئة مخالفة بذلك لأحكام حقوق الانسان ولقوانين الحرب . ١٥

وأيضاً تقرر من باب المسالمة قبول إنزال ثلاثة مدافع يختارها الأميرال وإذا أبى وأصر تلقى عليه مسئولية التعدى وذلك بعدم المجاوبة إلا بعد إطلاق القنبلة الخامسة . وقد بلغ راجب باشا الأميرال سيمور ذلك بالخطاب الآتى :-

(٢٢)

الاسكندرية فى ١٠ يوليه سنة ١٨٨٢

حضرة الأميرال

طبقاً لما سبق أن وعدتكم به فى أثناء المحادثة التى دارت بينى وبينكم هذا الصباح رفعت لسمو الخديو فى اجتماع حافل بالنظر وكبار موظفى الحكومة الشروط المدونة فى الخطاب الذى تكرمتم بارساله الى قومندان الاسكندرية فى بكرة هذا النهار وذكرتم فيه أنكم نويتم تنفيذ أغراضكم المبينة بخطابكم اليه يوم ٦ من الشهر الحالى فى فجر الغد (١١ الجارى) وذلك اذا لم تسلم لكم مؤقتاً البطاريات القائمة على برزخ رأس التين وساحل ميناء الاسكندرية الجنوبى لتجربتها من السلاح قبل هذه المهلة .

وانى للأسف يا حضرة الأميرال أن أعلمكم بأن حكومة سموه

— ٧٧ —

أوصلتهم إلى الأنفسييل التي كان بها الأميرال وسلموه خطاب راغب
باشا في الساعة السادسة صباحا .

وبعد أن أطلع عليه الأميرال وعلم ما جاء به أرسل معهم
الرد السلي الآتي :-

(٢٣)

من ظهر البارجة انفسيل بالاسكندرية في ١١ يولييه سنة ١٨٨٢
ياصاحب السعادة

أتشرف باخباركم بوصول بلاغكم المؤرخ بتاريخ أمس وأنى
آسف أن أخبركم أنه ليس فى استطاعى أن أقبل ما عرضتموه
فى هذا البلاغ .
ولى الشرف الخ...و.

رئيس قومندانىة القوة البحرية البريطانية فى البحر الايض المتوسط
الامضاء
بوشامپ سيمور

وانصرف هؤلاء الضباط ومعهم الرد وانتظر الأميرال وصولهم
الى البر ثم أعطى الاشارة باطلاق النار .

وقبل حصول الضرب أرسل لورد جرانفيل باسم حكومته
الى ممثلى حكومة صاحبة الجلالة البريطانية فى باريس وبرلين وفينا
وروما وسان بترسبرج والاستانة البرقية التالية اتماما لسلسلة هذه

المكاتبات وتبريرا للعمل الذى لا أجد ما أصفه به الوصف الكافى والذى
أوشك أن يحدث ، وإليك نص هذه البرقية :-

(٢٤)

وزارة الخارجية فى ١٠ يوليه سنة ١٨٨٢

بناء على برقيتى التى أرسلتها أمس مساء بينوا للحكومة التى أنتم
معتمدون لديها أن الخطة التى أنبأنا أميرالنا أنه سيسير عليها ليست أكثر
من عمل دفاعى بسيط ومشروع - وأما قتاله - إذا كانت تدعو الضرورة
لسوء الحظ الى قتال ، فسيباشره لهذه الغاية وبدون أية فكرة أخرى .

ويتضح من تقريره أن أولى الأمر والنهى بالاسكندرية على
وشك أن يقوموا باستعدادات عدوانية ويضربوا بأوامر السلطان
ورغبات الخديو عرض الحائط رغما عن تأكيداتهم الايجابية ؟

وأرسل إلى لورد دوفرين Lord Dufferin برقية واحدة بقصد
خداع السلطنة العثمانية ، وهى :-

(٢٥)

يجول بفكرنا أن مانقوم به من الأعمال لم يكن إلا فى
صالح السلطان الذى يستخفون بسيطرته ؟

* * *

فهل من الممكن تغيير الحقيقة بجرأة أشد من هذه الجرأة ؟
ومن أى جانب يكون الدفاع المشروع ؟ أمن جانب
أسطول قوى قدم مياهه بلد وصار يصوب مدافعه وقاذفات

أنواره الكهربائية كل ليلة على حصون هذا البلد ؟
 أم من جانب أهالي هذا البلد الذين عندما رأوا ذلك أخذوا
 يحاولون - تأمينا على حياتهم - القيام ببعض ترميمات نافذة غير مجدية في
 حصونهم العتيقة ؟

نعم لانزع في أن القوة تصير الباطل حقا ولكنها في الحالة
 الحاضرة جاوزت في انتهاكها للحق كل حد .

وكان هنالك على ما أرى وسيلتان للخروج من هذا المأزق :-

الوسيلة الأولى التي أوعز بها مرعشلي باشا وهي تقضى بالكف عن
 مجاورة نيران الاسطول الانجليزى واخللاء الحصون من الجنود
 وبهذه الكيفية يكون الانجليز نالوا مشتاهم واذا استمروا بعد ذلك
 على تصويب مقذوفات مدافعهم على حصون لم تقابل عدوانهم بمثلها
 لأجل نفس مدافعها يكونون قد أتوا بعمل لا يشرفهم ولا يهين
 لهم أى حجة لاحتلال المدينة ، وبهذه الوسيلة نكون قد تجنبنا
 خسارة جنودنا الأبطال الذين راحوا ضحية في ذلك اليوم المشؤم .

والوسيلة الثانية هي - أنه كان يوجد في ميناء الاسكندرية
 بوارج حربية لكل الدول فكان في الاستطاعة الاتفاق
 معها على أن ترسل كل واحدة منها فريقا من بحارتها
 إلى البر وتعهدها إليها حراسة الحصون المطلة على البحر .
 وبهذه الكيفية لا يكون للأميرال حجة يتمسك بها ويزعم

أنه مهدد وإذا استمر بعد ذلك على تنفيذ خطته ولم ينجح إلى السلم وجد أوروبا كلها أمامه .

ويظهر لي أن هذين الحليين كانا هما السبيل الوحيد لاجتياز مصر هذه العقبة الخطرة . ولكن شاءت الأقدار غير ذلك بعد أن فرغ كل مافي جعبتها من وسائل السلم فأقبلت على الخضوع إلى ما قدر لها في عالم الغيب ومكابدة احتمال فوادم الخطوب من احتلال أجنبي أعقبه بتر أكبر قسم من أراضيها .

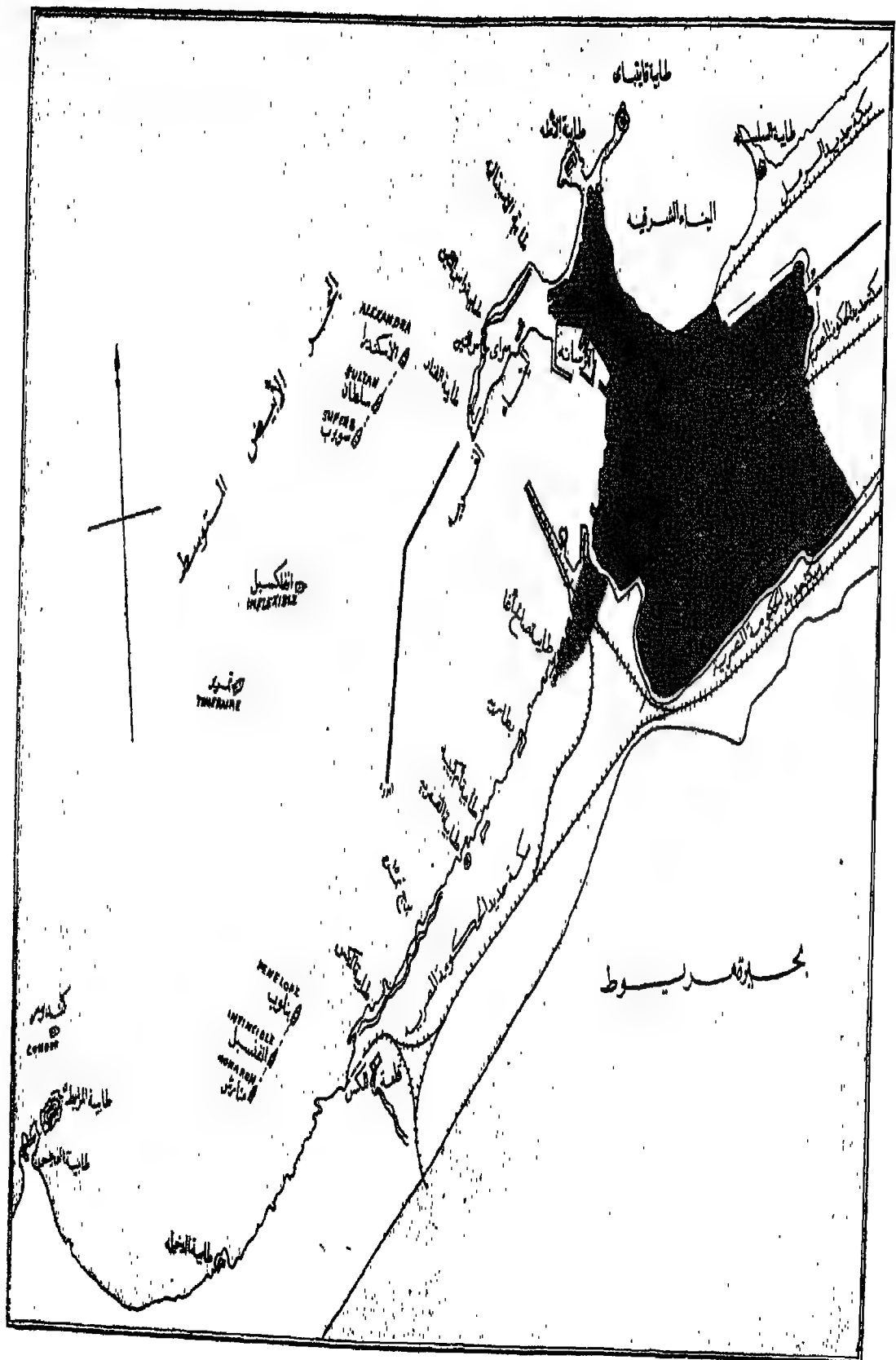
مواقع الحصون من موقف الأسطول

قبل أن أتكلم عن ضرب الأسطول لحصون الاسكندرية يجدر بي أن أبين مواقع الحصون بالنسبة للأسطول ليكون الأمر أمام عين القارئ في صورة واضحة جلية .

إن حصون الاسكندرية القائمة على طول شاطئ البحر تنقسم إلى ثلاث مناطق بالنسبة لتعرضها لضرب الأسطول :-

١ - المنطقة الأولى . وهي الواقعة شرق المدينة ، ليس بها غير حصن السلسلة . وهذا الحصن لانعه قد اشترك في القتال وإن كان قد أطلق بعض طلقات على السفن التي كانت تصوب مقذوفات مدافعها على قلعة قايتباي . لأن هذه السفن لم تجاوبه بتاتا فلم يصب بضرر ما .

خريطة حصون الاسكندرية والسفن الانكليزية التي ضربتها في ايلول سنة ١٨٨٢ م



٢ - المنطقة الثانية . وهي الواقعة شمال المدينة ، بها من الحصون حصن قايتباى والهلالية والأطية والاسبتالية ورأس التين والفنار .

٣ - المنطقة الثالثة . وهي الواقعة غرب المدينة ، بها من الحصون حصن صالح أغا والبرج رقم ١٥ وأم قبيلة والعجمى والمرابط . وكان حصن العجمى لم يتم انشاؤه إلى وقت الضرب .

أما الأسطول الانجليزى فكان مؤلفا من مائتى مدرعات كبيرة وخمس سفن صغيرة غير مدرعة . وقد انقسمت المدرعات إلى قسمين :-

١ - القسم الأول ، ويسمى الأسطول الخارجى ، كان مؤلفا من المدرعات الخمس : الكسندرا ، وانفلكسيل ، وسلطان ، وسوپرب ، وتمرير . وهذا القسم كان يقوده الكابتن هنت جرب Hunt Grubbe قائد المدرعة سلطان . وكانت مهمته تنحصر فى الوقوف خارج الميناء فى عرض البحر ومهاجمة حصون المنطقة الثانية .

٢ - القسم الثانى ، ويسمى الاسطول الداخلى ، كان مؤلفا من ثلاث مدرعات هى انفنسيل ، ومونارك ، وبنلوب بقيادة الأميرال سيمور وكانت مهمته أن يقف فى الجزء المتقدم من الميناء ويهاجم حصون المنطقة الثالثة . وهذا التقسيم كان سليا فى انتقال الأميرال سيمور من الكسندرا سفينة القيادة لهذا الاسطول إلى المدرعة انفنسيل .

وأما السفن الخمس الصغيرة فقد تلقت الأمر بأن تقف

خارج منطقة مرمى القنابل الى أن تحين الفرصة المناسبة التي تسمح لها بالاشتراك في مهاجمة حصون المنطقة الثالثة نظرا لقصر عمق غاطسها .

وكانت الخطة المرسومة لكلا قسمي الأسطول كما قلنا آنفا أن تصوب مدرعاته نيران مدافعها كلها سوية الى حصن واحد وبعد أن تسكته تقصد الى الحصن الذي يليه وتقوم بنفس العمل الذي عملته مع الحصن السالف . وهكذا دواليك مع باقى الحصون إلى أن تسكت جميعا سكوتا تاما .

وبما أن العمل بهذه الكيفية أى تصويب قوة كل الأسطول فى آن واحد الى حصن واحد، من شأنه أن يجعل الأسطول متفوقا على هذا الحصن الواحد تفوقا كبيرا، فقد بذل القومندان جودريتش مجهودا كبيرا ليصل الى الموازنة بين القوتين فى الجانبين فى مختلف المعارك التى دارت رحاها بهذه الكيفية بين الأسطول والحصون ويبين كل واحدة منها على حدة . وهذه هى النتيجة التى حصل عليها :—

النسبة بين قوة الحصون وقوة الأسطول

قوة حصن قايتباى	بالنسبة للأسطول الذى هاجمه	٤	: ٣٣
الآطاة	»	»	٥ : ٣٣
رأس التين	»	»	٧ : ٢٦
الفنار	»	»	٤ : ٢٦
المكس	»	»	٥ . ١٦

وقد قال القومندان جودريتش بعد ذكر هذه الموازنة إنه
يعدها دون الحقيقة بالنسبة للأسطول لتفوق عيار مدافعه على
عيار المدافع المصرية .

وإذا أضفنا الى ذلك تفوق رجال المدفعية الانكليزية
بالنسبة لتجارهم على رجال المدفعية المصرية لعدم مرانهم كان البون
بينها سحيقا بعيدا .

حامية الاسكندرية

قبل مذبحة الاسكندرية التي حدثت يوم ١١ يونيه سنة ١٨٨٢
كانت حاميتها مؤلفة من ٥ جى يياده و ٦ جى يياده وهما الألايان
الذيان يتألف منها اللواء الثالث بقيادة اللواء خورشيد باشا طاهر .
ومن ١ جى طوبجية سواحل بقيادة أمير الألاى اسماعيل بك صبرى .
وكان هؤلاء جميعا تحت أمرة الفريق اسماعيل باشا كامل .

وبعد تلك المذبحة عندما قدم الى الاسكندرية يعقوب باشا
سامى وكيل نظارة الجهادية وكان عضوا فى المجلس الذى تألف لتحقيق
هذه الحادثة وتوطيد النظام بكيفية شافية وافية فى هذه المدينة
خصوصا بعدما جاءت الى مينائها الأساطيل الفرنسية والانكليزية
وغيرها ورابطت فيها ، كتب سامى باشا الى نظارة الجهادية لتعزيز هذه
الحامية وترسل لواء مؤلفا من الألايين من المشاة . فلبت النظارة طلبه

وأرسلت الى الاسكندرية ٢ جى يياده و ٤ جى يياده بقياده اللواء
طلبة باشا عصمت . ولما رأى الفريق اسماعيل باشا كامل طلبة باشا
عصمت على رأس هذا اللواء وكان على علم بأنه لا يخضع له ولا
يرضى بأن يكون له عليه أى سيطرة وإن كان أرقى منه رتبة
لأن طلبة باشا من صنائع عربى ، أخذ اجازة مرضية اتقاء لهذه
المخاطر وتخلص من القيادة التي انتقلت من يده ابتداء من ذلك اليوم
وأصبحت فى يد اللواء طلبة باشا عصمت .

واليك يانا بوحدات حامية الاسكندرية يوم ضرب حصونها :-

٢ جى يياده

القائد — أميرالاي خليل بك كامل .

وكيل القائد — القائمقام احمد بك عفت .

بكباشى الأورطة الأولى — محمد افندى عارف .

د د الثانية — محمد افندى فوده .

د د الثالثة — محروس افندى شلش

١٨٦٣ مجموع عدد الضباط والصف ضباط والجنود .

٤ جى يياده

القائد — أميرالاي عيىد بك محمد .

وكيل القائد — القائمقام فوده بك حسن .

بكباشى الأورطة الأولى — احمد افندى عبد الرحمن .

١٨٦٣ ماقبله

بكباشى الأورطة الثانية - رزق افندى حجازى .

» » الثالثة - حسن افندى عاصم .

١٨٨٥ مجموع عدد الضباط والصف ضباط والجنود .

٥ جى قيادة

القائد - أمير الألاى مصطفى بك عبد الرحيم .

وكيل القائد - القائم مقام فرج بك عبد العال .

بكباشى الأورطة الأولى - يوسف افندى السيد .

» » الثانية - عبد الرحمن افندى سليم .

» » الثالثة - سليمان افندى تعيب .

١٨٢٤ مجموع عدد الضباط والصف ضباط والجنود .

٦ جى قيادة

القائد - أمير الألاى سليمان بك سامى .

وكيل القائد - القائم مقام على بك عيسى .

بكباشى الأورطة الأولى - على افندى رمزى .

» » الثانية - فرج افندى يوسف .

» » الثالثة - احمد افندى راغب .

١٨٩١ مجموع عدد الضباط والصف ضباط والجنود .

٧٤٦٣ مجموع القيادة ضباط وصف ضباط وجنود .

٧٤٦٣ ماقبله

١ جى طوبجيجة سواحل

- القائد - أمير الألاى اسماعيل بك صبرى .
- وكيل القائد - { القائمقام محمد بك نسيم .
والد صاحب الدولة توفيق باشا نسيم
- بكباشى الأورطة الأولى - عبد العال افندى ابو العلا .
- ، ، الثانية - { سيف النصر افندى . والد حضرة صاحب
العزة حمدى بك سيف النصر .
- ، ، الثالثة - محمد افندى شرمى .

١٧٦٢ مجموع عدد الضباط والصف ضباط والجنود .

أورطتان من ١ جى سوارى

- القائد - البكباشى محمد افندى منيب .
- ٢٦٢ مجموع عدد الضباط والصف ضباط والجنود .
- ٩٤٨٧ المجموع الكلى

* * *

استعدادات القوتين المتحاربتين قبل الضرب

لقد فشلت كل الجهود التى بذلت ابتغاء ايجاد طريقة للسلم واجتناب الحرب بسبب عناد الأميرال سيمور وتصلبه . ولم يبق إلا تفويض الأمر للحديد والنار .

وفى ليلة ١١ يوليه سنة ١٨٨٢ أرسى عرابى باشا

أمره الألايات عيد بك محمد ومصطفى بك عبد الرحيم وسليمان بك سامى قواد ٤ جى و ٥ جى و ٦ جى ييادة فى طلب أمير الألاى اسماعيل بك صبرى قائد ١ جى طوبجية سواحل وقومندان حصون الاسكندرية . وكان عرابى باشا وقتئذ بالترسانة ومعه محمود باشا فهمى وطلبة باشا عصمت قائد حامية الاسكندرية ومحمد باشا كامل وكيل نظارة البحرية . فلما جاء أخبره أن الأسطول الانكليزى سيضرب حصون الاسكندرية صبح يوم الغد . واستطرد فى الكلام فقال : وان كان المجلس الذى انعقد فى سراى رأس التين برياسة الخديو قرر عدم مجاوبة الأسطول إلا بعد الطلقة الخامسة فمن اللازم أن يصدر أمرا بأن المجاوبة لا تكون إلا بعد الطلقة العاشرة .

وبعد أن تلقى اسماعيل بك صبرى هذه الأوامر انصرف هو ووكيله القائمقام محمد بك نسيم ليقابل بكباشىة الألاى ويبلغهم الأوامر التى تلقاها وبعد أن أتم مهمة التبليغ ذهب كل واحد من هؤلاء إلى مركز عمله . فذهب البكباشى عبد العال افندى ابو العلا إلى قلعة قايتباى والبكباشى سيف النصر افندى الى حصن الفنار . والبكباشى محمد افندى شرمى إلى حصن المكس . أما أمير الألاى اسماعيل بك صبرى فقد أخذ تحت قيادته المباشرة حصون المنطقة الثانية وأقام مركز قيادته فى حصن الأطة وأرسل وكيله القائمقام محمد بك نسيم لقيادة حصون المنطقة الثالثة وقد جعل مركز قيادته بحصن المكس .

وأصدر أحمد باشا عرابى الأوامر الآتية للشاة :-

يجب على ٥ جى زيادة بقيادة أمير الألاى مصطفى بك عبد الرحيم أن يتفرق خلف حصون المنطقة الثانية أى من قلعة قايتباى الى حصن الفنار مع ٤ جى زيادة بقيادة أمير الألاى عيد بك محمد . وعلى الألاى الأخير أن يقيم يباب شرق بصفة احتياطى .

ويجب على ٦ جى زيادة بقيادة أمير الألاى سليمان بك سامى أن يتفرق خلف حصون المنطقة الثالثة أى من حصن طايبة صالح إلى حصن العجمى ومعه ٢ جى زيادة بقيادة أمير الألاى خليل بك كامل . وعلى هذا الألاى الأخير أن يقيم بالقبارى بصفة احتياطى .

وعلى الأورطتين من ١ جى سوارى أن تقوما بواجب الخدمة بصفة مراسلة بين مختلف الحصون والمراكز .

هذه هى الترتيبات التى وضعتها القيادة المصرية .

أما الإنكليز فقد وجه الأميرال سيمور بتاريخ ١٠ يوليه الى قواد وضباط بوازج صاحبة الجلالة الملوكية باسكندرية أوامره باتباع الترتيبات التى جاءت فى هذا المنشور :-

من البارجة انفسيل فى ١٠ يوليه سنة ١٨٨٢

لأنه فى حالة ما اذا لم اتلق جوابا مرضيا على الانذار الذى أرسلته إلى قائد الاسكندرية الحربى اطلب منه فيه أن يسلمنى مؤقتا الحصون القائمة على ساحل الميناء الجنوبى (حصون المنطقة الثالثة ، من

حصن صالح الى حصن العجمي (وحصون رأس التين - اذا لم أتلق جوابا مرضيا - يغير الأسطول بقيادتي على الحصون عقب ما تنتهى الأربع والعشرون ساعة وهى مدة المهلة التى أمهلت بها المحايدين ليبارحوا فى خلالها المدينة . وهذه المدة تنقضى فى الساعة الخامسة صباحا من يوم ١١ يوليه .

وسيكون الهجوم من ناحيتين :-

١ — الناحية الأولى داخل الميناء ، وتشترك فيه انفنسيل ، ومونارك ، وبنلوب .

٢ — الناحية الثانية خارج حاجز الأمواج ، وتشترك فيه سوپرب ، وتميرير ، والكسندرا ، وانفلكسيل .

ويتبدى القتال عند صدور الإشارة منى . وفى هذه الحالة على السفينة الأكثر دنوا من سائر التراب الذى أقيم أخيرا فى طاية الاسبتالية التى بجوار حصن الأطة ، أن تصوب قذيفة الى هذا السائر .

وعندما نجاب الحصون الأسطول الخارجى باطلاق النار يجب على السفن بذل كل مجهودها وتدمير البطاريات القائمة على شبه جزيرة رأس التين خصوصا حصن الفنار المطل على الميناء . ومتى تم ذلك تتجه سلطان ، وسوپرب ، والكسندرا الى الشرق لتهاجم حصن فاروس (قايتباى) . وتهاجم حصن السلسلة اذا كانت مهاجمة فى الامكان .

وتتجه انفلكسييل في عصر هذا النهار نحو الموقع الذى بقرب
البوغاز الصغير والذى عين لها أمس وتستعد لضرب مدافع خط
المكس ومساعدة الأسطول الداخلى عند ما تعطى الإشارة بالضرب .
وتأخذ تمرير ، وسلطان ، والكسندرا في ضرب حصون
رأس التين من الجانب .

وتظل السفن الصغيرة في الخارج بعيدة عن منطقة القتال
إلى أن تجد الفرصة المناسبة للهجوم على المكس .
ويجب على السفن أن تراعى في تنفيذ هذه التعليمات
كلها دواعى الظروف مراعاة كبيرة بمعنى أنها تراعى الحالة التى
يجب عليها أن تقاتل وهي فيها . فأما أن تقاتل وهي راسية في
مراسيها أو تقاتل وهي متحركة .

وإذا كانت الحالة تدعو الى قتالها وهي ملقية مراسيها
وجب حينئذ أن يزداد حبل من الفولاذ .

وعلى الجنود أن يتناولوا فطورهم في منتصف الساعة
الخامسة صباحاً وأن يرتدوا ملابس العمل الزرقاء .

وسيكون الأسطول الداخلى تحت قيادة الشخصية ،
والأسطول الخارجى تحت قيادة الكابتن هنت جرب قائد البارجة سلطان .
وتقوم السفينتان هلكن وكسندور بوظيفة سفن الاعادة .

وبالجملة ينحصر الغرض من الهجوم في تخريب الحصون
وتدمير البطاريات المنصوبة على واجهة بحر الاسكندرية .

ومن المحتمل أن هذا العمل لا يمكن إتمامه في أقل من يومين أو ثلاثة . فيجب استعمال المقذوفات مع الحرص . وعلى كل حال من المرتقب قدوم الباخرة همبر Humber الى هنا في ١٢ يولييه وعليها مقدار كبير من الذخيرة .

واذا وصلت البارجة اتشلز Achilles في الوقت اللازم يجب عليها مهاجمة حصن فاروس (قايتباى) والوقوف في الموقف الذى يأمرها قائد الأسطول الخارجى أن تتخذه .

وتقف الكسندرا على بعد ١٥٠٠ ياردة تجاه حصن رأس التين .

وتقف سلطان على بعد ١٧٥٠ ياردة تجاه منتصف المسافة بين حصنى الفنار ورأس التين .

وتقف سوپرب على بعد ١٩٥٠ ياردة تجاه حصن الفنار .

وتقف انفلكسييل على بعد ٣٧٠٠ ياردة فى الشمال الغربى من المكس .

وتقف تمرير على بعد ٣٥٠٠ ياردة فى الشمال الغربى من المكس .

وتقف پنلوپ ، واشنسييل ، ومونارك على بعد يتراوح بين

١٠٠٠ و ١٣٠٠ ياردة في الشمال الغربي من المكس ؟

الامضاء

پوشامپ سيمور
أميرال وقومندان القيادة

ويؤخذ من ترتيب هذه البوارج عدا البارجتين انفلكسيل
وتمرير ووضعها في هذه المواقف أن الأميرال أراد أن تكون
المسافة التي يرمى منها هذا الأسطول مقذوفاته وخصوصاً الأسطول
الداخلي ، قصيرة قريبة من الحصون على الرغم من بعد مرمى
مدافع سفنه الضخمة . ومن هذا نستنتج عدة نتائج :—

١ — أن المخاوف التي كان يخشى منها الأميرال على
أسطوله من جراء وضع مدافع في الحصون قبل الضرب ، كانت
مخاوف مختلفة أراد بها تبرير عمله .

٢ — أن هذا الأميرال لم يكن يخشى ضرراً كبيراً من
المدفعية المصرية التي في هذه الطواني . ولذلك دنا منها هذا الدنو
الكبير الذي لم يجرئه عليه إلا اعتقاده الجازم بقصر مرمى
هذه المدفعية وضعف تأثير مقذوفاتها .

٣ — أنه كان على علم تام بأن هذه الحصون كلها
عدا قلعة قايتباي كانت مدافعها منصوبة في العراء وبلا وقاية
تقى جنودها . والدليل على ذلك أنه أمر باستعمال مدافعه
الصغيرة خصوصاً المنصوبة منها في الطبقات العليا من سفن هذا

الأسطول ، وذلك لكي يفتك بجنود هذه المدافع فيسكنها بقتل جنودها وبدون أن يحتاج في اسكاتها إلى ضربها واتلافها وهذا ماحدث فعلا في كل هذه الحصون عدا قلعة قايتباي .

البدء بالضرب

في صباح يوم ١١ يولييه سنة ١٨٨٢ في الساعة السابعة صباحاً أعطى الأميرال سيمور إشارة الضرب غير مبال أية مبالاة بحقوق الشعوب الأمر الذي يكسو الحكومة التي وافقت على سفك دماء الأبرياء ثياب العار ، ويسجل في تاريخها صحائف سوداء لايمحوها مرور الأزمان ولا كرور الأعوام .

وقد كان الجو وقت الضرب صحوا والبحر رهوا إلا أن النسيم الذي يهب في هذا الفصل على الاسكندرية من الشمال الغربي كان يطرد دخان مدافع الأسطول إلى الشاطئ فينشر الظلام على الحصون ويحول في فترات واسعة دون رؤية الأهداف التي يجب أن تسدد إليها السفن مقذوفاتها . ولولم تظهر أمام الأسطول هذه العقبة لكان موقفه من أحسن المواقف .

وعملا بأوامر الأميرال أرسلت الكسندرا التي كانت أقرب السفن من حصن الاستبالية ، أول قذيفة إلى هذا الحصن . واقتدت بها بقية السفن فأطلقت مدافعها ولكن بعض الحصون

لم تجاوبها إلا بعد الطلقة العاشرة والبعض الآخر بعد الخامسة عشرة .
ثم عمت المعركة الجانبين .

حركات الاسطول الخارجى

سارت سفن هذا الاسطول فى بدء المعركة على الخطة الحرية التى رسمت لها فصوبت مقذوقاتها أولا على حصون الفنار ، ورأس التين ، والاستبالية . ولم تعر مؤقتا التفاتها إلى الحصون الأخرى . وقاتلت ثلاث منهن متتلة وهى سلطان ، وسورب ، والكسندرا . أما البارجة انفسيل فكانت ملقية مراسيها فى الممر الصغير لتعاون الاسطول الداخلى مصوبة مدفعين من مدافعها منصوبين فى برجها الأمامى وزن الواحد ٨٠ طنا لضرب الحصون السالف ذكرها ومدفعين فى برجها الخلفى لضرب حصن المكس .

وأما البارجة تمرير خامسة بوارج هذا الاسطول فقد نشبت فى مكانها (شطت) أثناء المناورة التى كانت تقوم بها لتتخذ الوضع الذى رسم لها خارج البوغاز ، ولكنها واصلت الضرب وهى فى المكان الذى نشبت فيه وجاءت السفينة كندور لانقاذها فعومتها بدون أن ينالها أى ضرر .

وقد كانت هذه البوارج الثلاث تقاتل وتكافح من بدء القتال فى الساعة السابعة إلى منتصف الساعة الحادية عشرة وهى متتلة وعلى بعد ١٥٠٠ ياردة حسب تعليمات الأميرال وقاومتها الحصون

مقاومة فاقت ما كان يظنه الانكليز وأبدى جنود مدفعيتها فى اطلاق هذه المدافع مهارة لم يكونوا يتوقعونها منهم فألقت هذه البوارج مراسيها عند منتصف الساعة الحادية عشرة لأنها رأت ضربها غير محكم وهى متنقلة . وبذلك حصلت عل المسافة المضبوطة التى تفصلها من الحصون وأخذ ضربها لها ابتداء من هذا الوقت يزداد أثره .

وبانضمام البارجتين انفلكسيل وتمير إلى هذه البوارج الثلاث أمكنها اسكات حصون رأس التين والفنار والاستبالية فى منتصف الساعة الواحدة بعد الظهر . غير أن مدفعا واحدا من مدافع حصن الاستبالية لم يسكت ولم ينقطع عن الضرب إلا فى الساعة الخامسة مساء . وقد أصابت قنابل هذه البوارج سراى الحريم بقصر رأس التين فالتهمها النيران فى الساعة العاشرة مساء .

قال القومندان جودريتش إن جنود المدفعية المصرية جاوبوا نيران الاسطول الانكليزى الجهنمية مجاوبة مدهشة لم تكن منتظرة بتاتا وأظهروا بسالة عجيبة رغم التفات الجسيم الذى بينهم وبين الانكليز من ناحيتى عدد المدافع وعيارها .

ولقد كانت البارجة انفلكسيل عندما تطلق مقذوفاتها التى تزن القذيفة منها ١٧٠٠ رطل على حصن الفنار وتصطدم بساتره تثير النقع والغبار والشظايا إلى ارتفاع الفنار نفسه . ويتخيل المرء

عندما يرى ذلك أن ليس في استطاعة أحد من البشر أن يعيش تحت هذه النيران ولكن عندما ينقشع العثير بعد بضع دقائق يرى جنود المدفعية المصرية في مواقعهم يطلقون القنابل على خصمهم الرهيب . اه وعقب منتصف الساعة الواحدة بعد الظهر عندما أسكتت مدافع المدرعات الثلاث سلطان ، وسوبرب ، والكسندرا مدافع الحصون الثلاثة المذكورة ، اتجهت نحو حصن الأطة ، ويظهر أنها كانت تعتقد أن قوتها لا تكفي للتغلب عليه ، ولذلك طلبت من المدرعتين انفلكسييل وتمير أن تأتيا لمشاركتها في ضربه . فصوبت هذه المدرعات الخمس نيرانها دفعة واحدة إلى هذا الحصن المنكود الذى دافع عن نفسه دفاعا عجيبا أمام غارة البوارج الخمس التى هي أقوى سفن الأسطول الانجليزى . وسلك قائد هذا الحصن الذى لم أوفق لسوء الحظ إلى معرفة اسمه فى قيادته سلوكا باهرا غاية فى البسالة والاقدام . وقد شهد له بذلك شاهد العيان الكابتن وولتر جودسول Walter Goodsall قومندان الباخرة تشلترن Chiltern إحدى سفن شركة التلغراف الشرقية ، الاسترن تلجراف Eastern Télégraphe Cie الذى كان حاضرا هذه الواقعة فى ذلك اليوم . وهذا ما قاله :-

لقد عجبت من هذه البطولة التى لا يمكننى أن أدرك كنه كفاءتها .
والتي كانت تتحلى بها الجنود الذين يطلقون مدافع حصن الأطة ، كما عجبت أشد العجب من الموقف الذى وقفه قائد هذا الحصن قرب سارية علمه وهو بمفرده والمنظار فى يده ينظر منه الأثر الذى أحدثته المقذوفات

التي كانت تنطلق .

لقد كان حقاً رجلاً شجاعاً مزدرباً عدد المقذوفات التي كانت تلقى على حصنه ذلك الحصن الذي كان يجابو هذه المقذوفات باطلاق مقذوفاته كلها مرت عشر دقائق . ثم رفعت البارجة انفلكسيل مرساتها وشرعت تصوب قنابل مدافعها الضخمة الى هذا الحصن . ويظهر أنها دكت أسسه ودمرته تدميراً . وفي منتصف الساعة الثانية بعد الظهر سددت قنبلة الى مستودع باروده ولا بد أنها أصابته ودخلت فيه لأنه انفجر في منتصف الساعة الثالثة ونسف ، ولا بد أيضاً أنه قتل جنود كثيرون في هذا الحصن لأن عددا كبيرا منهم طار في الفضاء والضابط الذي كان واقفا فيه وقفه الأسد في عرينه طار في الهواء هو وسارية عليه . اه

* * *

هذه كانت خاتمة ذلك البطل الصنديد وجنوده البواسل وبعد هذا الانفجار أخلت الحامية حصن الاطلة ورحلت عنه .

وقد اتجهت المدرعات الخمس على أثر تدميرها حصن الاطلة نحو قلعة فاروس (قايتباى) وظلت تصلية بنيرانها الى الساعة الخامسة مساء أى الوقت الذى أعطى فيه الأميرال الاشارة بايقاف الضرب . وقد أصيبت هذه القلعة بأتلاف جسيمة ولكنها مع ذلك لم تسكت عن اطلاق مدافعها سكوتا تاما واستمرت ترمى مقذوفاتها الى أن صدر الأمر بالكف عن اطلاق النيران .

حركات الأسطول الداخلى

كانت المدرعات الثلاث التى يتألف منها هذا الأسطول وهى أفنسييل، وبنلوف، ومونارك بقيادة الأميرال سيمور مباشرة . وكان علم هذا الأميرال معقودا على أولاهها وكان موقفها حسب تعليمات القتال شمال غربى المكس . وقد أُلقت هى والثانية مراسيها على بعد يتراوح بين ١٠٠٠ و ١٢٠٠ ياردة بينما الثالثة كانت تتنقل فى منطقة على بعد هذه المسافة عنها . وكانت مهمة هذه البوارج الثلاث مقاتلة حصون أم قبيية ، والمكس ، والدخيلة ويعاونها فى ذلك البارجة انفلكسييل التى كانت ملقية مراسيها خارج الممر الصغير وتقذف النيران منذ ضحوة النهار من مدفعيها المنصوبين فى برج مؤخرتها والذين يزن كل منها ٨٠ طنا وكذلك كانت تعاونها البارجة تمرير التى كانت ناشبة (شاحطة) خارج ممر البوغاز . وكانت كلتا هاتين السفيتين تقاتل الحصون على مسافة قدرها ٣٥٠٠ ياردة تقريبا . وقد أصيب فى الساعة التاسعة صباحا مستودع البارود الذى كان خلف حصن الدخيلة بقذيفة من قذائف السفينة مونارك فتطاير فى الفضاء .

وعلى أثر ذلك أشار الأميرال إلى هذه السفينة بالاقتراب من الشاطئ بقدر ما يسمح لها غاطسها لتسحق جنود المدفعية أو تطردهم من حول مدافعهم فأطاعت .

وفى منتصف الساعة الثانية عشرة كفت هذه الحصون عن

الضرب فكفت السفن أيضا عن ارسال مقذوفاتها . ولكن قيل
الظهر أبصرت السفينة مونارك جنودا انسلاوا الى مدافع الحصون
فأمرها الأميرال هي وبنلوپ أن ترسلا عليهم مقذوفاتها فأطاعتا
وانتهى الأمر بطرد هؤلاء الجنود من مواقعهم .

قال الماچور تلك Tulloch أحد رجال قلم المخابرات
وكان على ظهر السفينة انفسيل أمام حصن المكس ، في
كتابه (ذكريات أربعين عاما في الخدمة ص ٢٧٧)
Recollections of Forty Years Service . عن جنود مدفعية
حصن المكس ما نصه :-

لقد كان حقا من العجب العجيب أن أرى هؤلاء الجنود رغم
شدة الضرب واقفين في أما كنهم ملازمين لمدافعهم . وقد رأيت
أكثر من مرة قذيفة من قذائفنا تدخل في إحدى كوات مدافعهم
فقلت في نفسي لقد قضى على هذا المدفع وأمسى في حيز العدم .
ولكن لم ألبث بعد ذلك حتى قلت : كلا ثم كلا ١١ فقد كان الجواب
من هذا المدفع يعود في الوقت اللازم وقد أتى مرة من المرات بسرعة
فائقة جدا حتى لم أتمالك نفسي ووثبت الى حافة السفينة ورفعت يدي
صائحا : لقد أجدت العمل أيها الجندي المصري ١٠١ هـ

ثم رأت السفينة كندور أن حصن المرات يطلق مدافعه على
السفن الكبيرة ببعض الاحكام . فاقتربت منه وهاجمته لتحول دون

ضربه لها . ولما شاهد الأميرال فعل هذا الحصن أمر السفن الأربع الصغيرة أن تعاون كندور في هذا العمل ففعلت واسكتت الحصن .

وفي الساعة الثانية بعد الظهر رأى الأميرال هذه الحصون قد أخلتها الجنود فأرسل إلى البر عشرين جنديا ليسمروا أو ينسفوا مدافع حصن المكس بالديناميت ففعلوا ورجعوا دون أن يصابوا بأذى . وهذا يدل دلالة واضحة على أن الجنود البيادة الذين كانوا في حراسة هذه المنطقة لم يقوموا بالواجب الملقى على عاتقهم وأهملوه أهمالا يستحقون عليه المؤاخذه .

وفي منتصف الساعة الرابعة (الساعة ٣ ١/٢) أخبرت المدرعة بنلوب الأميرال بأن مدافع حصن القمرية تنأهب مرة ثانية للضرب وأخبرته أيضا المدرعة مونارك بعودة الجنود إلى حصن المكس .

فأمرهما بأن تسددا مقذوفاتهما إلى هذين الحصنين فصدعتا بالأمر وأخذتا تضربهما حتى منتصف الساعة السادسة مساء حيث أمر الأميرال بالكف عن الضرب في هذا الوقت . وهكذا انقضى ذلك اليوم المشؤم .

وقد بلغت خسائر الانكليز في هذا اليوم ٦ من القتلى و ٢٧ من الجرحى ، وسيأتى في تقرير الأميرال أن القتلى ٥ والجرحى ٢٨ فلعل أحد الجرحى أدركته الوفاة ، أما قتلى المصريين وجرحاهم فيتعذر علينا معرفة عددهم بالضبط . وقد قدرهم استون باشا رئيس أركان الحرب العام بالجيش المصرى بنحو ٧٠٠ جندى .

والذخيرة التي استهلكها هذا الأسطول كان مقدارها جسيما حتى أن المدرعات الكبيرة كانت في آخر النهار قد استنفدت ذخيرتها ولولا وصول النقلة همبر Humber في غد ذلك اليوم مشحونة بالذخيرة لتعذر على معظم سفن الأسطول الاستمرار في الضرب .

وهاك ما استهلكه الأسطول من أنواع الذخائر :-

٢١٩٨	من قذائف المدافع الكبيرة
٧١٠٠	من مظاريف مدافع السربند (متريلوز جاتلنج)
١٦٢٣٣	» » » نوردنفلت
١٠١٦٠	» » » بنادق مارتيني هنرى
٣٧	» الصواريخ (السوارىخ)
١٣١٨٥٦ رطلا	» البارود

أما مقدار ما نفد من ذخيرة المصريين فقد تعذرت معرفته أيضا .

ونورد هنا بعض الأخبار التي كانت تذيعها جريدة الطائف لصاحبها عبد الله نديم عن ضرب الاسكندرية على سبيل المثال للأخبار التي كانت تنشر على المصريين عن هذه الحرب ، وهي :-

يوم الثلاثاء ٢٤ شعبان سنة ١٢٩٩ هـ (١١ يولييه سنة ١٨٨٢ م)
في الساعة ١٢ عرية (الساعة ٧ افرنجية) صباحا اطلق الانكليز النار على حصون الاسكندرية فرددنا عليهم .

وفي الساعة ٢ عريية (الساعة ٩ افرنجية صباحا) غرقت مدرعة
أمام حصن الأطة .

وفي الساعة ٦ عريية (الظهر) غرقت سفينتان بين قلعة
قايتباى وحصن العجمي .

وفي الساعة ٧٣ عريية (الساعة ٢٣ افرنجية مساء) غرقت سفينة
حرية من الخشب عليها ثمانية مدافع .

وفي الساعة ١٠ عريية (الساعة ٥ افرنجية مساء) أصيبت المدرعة
الكبيرة بقذيفة من قلعة قايتباى أتلفت بطارياتها فرفعت العلم الأبيض
إشارة إلى الكف عن اطلاق المدافع عليها . فامتنع الضرب من الجانبين
بعد أن استمر عشر ساعات متوالية . وتخربت بعض جدران الحصون
ولكنها أصلحت ليلا . والطلقات والقنابل التي اطلقت من الجانبين
بلغت نحو ستة آلاف وهذه أول مرة أطلق فيها عدد كبير من
المقذوفات مثل هذا في وقت قصير كهذا .

وما من جندي في العالم كان يستطيع أن يقف بثبات
في مركزه رابط الجأش أمام نار محتدمة كما وقف المصريون أمام
نيران ٢٨ سفينة حرية مدة عشر ساعات .

هذه أمثلة من الأخبار التي كانت نذيعها هذه الجريدة .
وهي كلها مفتراة وبالأأسف ، وليس فيها مثقال ذرة من الصحة
اللهم إلا الفقرة الأخيرة .

التلف الذى حل بالحصون

١ - حصن السلسلة - قذف هذا الحصن المدرعة تمرير
بيضع قذائف محكمة بينما كانت تهاجم قلعة قايتباى ولم تجاوبه المدرعة
المذكورة . فبقى الحصن سليما بعد انتهاء القتال ولم يمس بسوء .

٢ - قلعة قايتباى - أصيبت واجهتها الشمالية الغربية لإصابات
شديدة من مقذوفات الاسطول . وتخربت حيطان ملاذها (كهفها) فى عدة
مواضع . ودخلت بعض قذائف الاسطول من كوائنها المعدة لاطلاق
المدافع . وانفجرت فى داخل هذه القلعة فأوقعت أربعة من مدافعيها .
وأتلقت ثلاثة مدافع أخرى بالانقراض التى سدت كوات
هذه المدافع ووقفت حركة مدفع عيار ١٠ بوصات من مدافع
بطارية الطبقة العليا من هذه القلعة بسبب انهيار أنقاض القصر العتيق
الذى كان هذا المدفع مستندا إليه . وقلبت إحدى قنابل الأسطول
مدفعا آخر عيار ٢٥ سنتيمترا من مدافع الطراز القديم .

أما الواجهة الغربية من هذه القلعة فقد دمرت عن آخرها
وفتحت فيها ثغرة كبيرة كشفت المدافع وجعلتها فى العراء . فأصيب
اثنان من هذه المدافع وأصبحا لا يصلحان للعمل .

ولم تشترك مدافع الواجهتين الشرقية والجنوبية فى القتال ،
ولكن رغم ذلك سقط مدفعان من مدافع الواجهة الجنوبية بضربة جنبية .

٣ - حصن الأطة - لم تشترك واجهته الشمالية الشرقية

في القتال ولم تصب بضرر .

وقد أصيب أحد المتاريس المشرفة على واجهته الشمالية الغربية بنحو عشرين قذيفة ، منها اثنتا عشرة دخلت دخولا عميقا ولكنها لم تنفجر . والآخرات انفجرت انفجارا هائلا فأحدثت تلفا كبيرا . وأصيب فيه مدفع من طراز ارمسترونج عيار ١٠ بوصات بقذيفة فانقلب . وأصيب متراس آخر بقذيفتين أصابت احدهما مدفعا من المدافع القديمة عيار ٢٥ سنتيمترا . واقتلعت قنبلة مدفعا من بطاريته الوسطى . وبطلت حركة مدفع آخر بسبب انهيار انقاض منحدره العلوى القائم عليه الساتر على أثر اصابته بقنبلة .

وأصيبت الواجهة الجنوبية منه بقذيفة مرت فوقه ففتحت ثغرة واسعة .

أما مستودع باروده الذى انفجر وكان انفجاره سيئا في اخلاء هذا الحصن فقد كان مقاما في موقع غير صالح ولم يكن تقيمه أية وقاية .

٤ - حصن الاسبتالية - أصيب هذا الحصن لإصابات كثيرة فتخرب بناؤه في نواح عديدة وخصوصاً الناحية الشمالية ولكنه مع ذلك بقى يطلق مدافعه التى شوهد على أحدها بعد انقضاء المعركة أكثر من تسعة وأربعين أثراً من آثار قذيفات الشرنابل (وهى نوع من القذائف محشو بالرصاص) . وكان بعض

هذه الآثار بل كثير منها يزيد عمقه عن سنتيمتر .

٥ - حصن رأس التين - أصيبت بطاريتيه الوسطى بقذائف كثيرة كان بينها سبع قذائف دخلت من كواته . وأصيب مدفع من مدافعه من طراز ارمسترونج عيار ١٠ بوصات بقذيفة حطمت محور عجلته فأمسى غير صالح للاستعمال . وأصيب مدفع آخر من طراز ارمسترونج عيار ٩ بوصات في قاعدته وصار أيضاً غير صالح للاستعمال لانهيأ أنقاض كوته .

وأصيبت بطاريات برجه بست قذائف دخلت من كواته وأصابت أحداها مدفعاً من طراز ارمسترونج غير أنه بقي مع هذه الإصابة يوالى الضرب . وأصيب مدفع آخر من طراز ارمسترونج أيضاً بقذيفة انفجرت في وسط عجلته فصيرته غير صالح للاستعمال . وتفكك مدفعان من البطاريات الوسطى أحدهما حدث تفككه من رجوعه الى الخلف ، والآخر على أثر أصابته بقذيفة .

٦ - حصن الفنار - أصيبت الواجهة الغربية منه بعطاب شديد من نيران الأسطول الخارجى . فقد انصدمت هذه الواجهة بقذيفتين أحدثتا فيها ثغرة عرضها ٥٠م من الأمتار وعمقها ١٥٠م من الأمتار . وحفرت أربع قذائف ثقباً قطر استدارتها نحو ٢٥٠م من الأمتار . وصدمت أربع قذائف أخرى الكوات (المزاغل) . وأصاب قذيفة أطلقت في اتجاه منخفض ، قمة الساتر فأطارتها على

طول ٣٦٠ من الأمتار . وحدثت أربع عشرة قذيفة أضراراً غير خطيرة . وانقلع مدفع على أثر تراجعه . وأصيب مدفعان من القذائف بعطب شديد وأمسيا غير صالحين للاستعمال فقد انفجرت قنبلة تحت أحدهما فقلبتة ، وحطمت أخرى أوتاد المدفع الثانى وقلبتة أيضاً . وكف مدفع آخر عن الضرب على أثر تخريب كوته . وأصيب مدفع من طراز أرمسترونج بضربة عكسية صيرته غير صالح للاستعمال .

٧ - حصن صالح أغا - هاجمت هذا الحصن الواقع فى الداخل المدرعتان مونارك وبنلوف فترة يسيرة فى آخر النهار وأصيبت ستائرهُ بأضرار طفيفة وتفكك مدفع قديم من مدافعه .

٨ - حصن أم قبيبة - قامت بمهاجمته المدرعة انفلكسيل وهى على بعد ٣٥٠٠ متر منه وقد عادت عليها مهاجمتها له بالفائدة إذ أصابته بثلاث عشرة قذيفة ألحقت به أضراراً جسيمة - صدمت اثنتان منها منحدر جدار الخندق الخارجى فألقت فيه كتلة من الانقاض تمكن الانسان من النزول فيه بسهولة . وصدمت اثنتان أخريان جدران الخندق من ناحية الحصن وفتحت كلتاها ثقباً يمكن الدخول منه . واثنتان حفرتا عند انفجارهما الذى كان على عمق كبير فى أرض الساتر ثقباً قطرها ٥ أمتار وعمقها ١٥٠ من الأمتار . وصدمت اثنتان الساتر بالقرب من الكوات من جانب السطح وصيرت احدهما أحد المدافع غير صالح للاستعمال . وألحقت الخمس القذائف

الأخرى بالحصن خسائر أقل جسامه كان من بينها أيضا حفرتان يتراوح قطر الواحدة منهما بين ٢ و ٣ أمتار وعمقها ١٥٠ من الأمتار ، كما أن الأحجار والأتربة التي نثرتها القذائف غطت المدافع وقصمت قنبلة مدفعا عيار ١٦ سنتيمترا نصفين . ومدفع آخر سقط عند نراجعته .

ووجد في فناء هذا الحصن عدد كبير من المقذوفات لم ينفجر .

٩ - حصن المكس - تفكك مدفع من مدافعه المنصوبة حول برجه على أثر إصابته بقذيفة ، وسقط مدفع آخر عند تقهقره . وأصابت بطاريته الوسطى المؤلفة من مدفعين ضخمين من طراز ارمسترونج بنحو اثنتي عشرة قذيفة . وأهم الخسائر التي أحدثتها هذه القذائف ثلاث حفائر قطر كل منها نحو ٣ أمتار . وأصابت بطارياته الأخرى ببعض المقذوفات . أما مبانيه القائمة في الخلف فهي التي لحقها التلف أكثر من غيرها من جراء ضرب السفن .

وكان داخل هذا الحصن بعد الممعنة مفعيا بالأحجار . وإنه ليتعذر على المرء أن يدرك لِمَ لم يسقط مدفع مامن مدافعه في غضون المعركة رغم قصر المسافة التي كانت بينه وبين البوارج الحربية ورغم نيرانها الفتاكة التي أصلته بها . غير أن المدرعة پنلوب أسقطت بعد ذلك مدفعا واحدا فقط لم تتمكن من إصابته إلا في الطلقة الثالثة عشرة .

وأصيبت مدافعه الأخرى بشظايا المقذوفات فلم تلحق بها
إلا أضرارا تافهة . وبعد جلاء جنوده عنه نزلت شرذمة من الجنود
الانكليز إلى البر ومعها أدوات النسف (طريد) ونسفت مدفعيه
الضخمين وسمرت مدافعه الأخرى .

١٠ - قلعة المكس - أطلقت على حيطانه مقذوفات
كثيرة العدد وقد تركت بها آثاراً وانفجرت احداها بالقرب
من مؤخرة مدفع أرمسترونج وأصاب جنود المدفعية ولكن لم
يحدث ضرر كبير للمدافع ولا للتحصينات .

١١ - حصن الدخيلة - لم ينله ضرر ما غير أن مدفعين
من مدافعه انقلبا عند تقهقرهما . ومستودع البارود الذي كان خلفه
أصيب بقذيفة ونسف كما ذكرنا ذلك آنفا

١٢ - حصن المرباط - كانت مهمة ركنه الذي في الشمال
الشرقي أن يقاوم السفينة كندور وسفن المدفعية . وقد أصيب
منحدره بنحو عشرين قذيفة تركت فيه آثارها غير أن الأضرار التي
حدثت كانت طفيفة . وأصاب واجهته الشمالية الشرقية بعض
مقذوفات من السفن التي كانت في الخليج الداخلي كانت أكثرها من
مقذوفات المدرعة مونارك ولكن المدافع التي بهذه الواجهة لم ينلها ضرر .
واشتعلت النار في بناية صغيرة بالقرب من مستودع كبير يجاوز
ارتفاعه ارتفاع سائر هذا الحصن به مقدار كبير من الذخيرة ولكن
النار لم تمتد إليه . ووجد بفناء هذا الحصن عمود كبير من

المقذوفات لم ينفجر .

١٣ - حصن العجمى - هذا الحصن لم يشترك فى القتال .

خسائر الأسطول

١ - المدرعة سلطان - أصيبت بثلاث وعشرين قذيفة وكانت إصابات مدخنها وسارياتها شديدة وأصاب بعض هذه القذائف زرعها (درعها) فى موضعين وقد أحدثت واحدة منها فى أسفل قنطرة بطارياتها شرخا يبلغ ٥٤ سنتيمترا . واخترت قذيفتان أو ثلاث جدرانها غير المدرعة وكان عدد قتلاها اثنين وجرحاها ثلاثة .

٢ - المدرعة سوپرب - فاقت خسائر هذه المدرعة خسائر اخوانها . فقد أصيبت فى جدرانها بعشر إصابات . واخترت قذيفتان درعها . وفى أحد مواضع اصابها انزعت القذيفة عند انفجارها جزءا من درعها . وكذلك أصيبت مدخنها .

٣ - المدرعة انفنسيل - أصيبت بثلاث عشرة قذيفة فى جدرانها وآلاتها . واخترت ست منهن الجزء غير المدرع منها .

٤ - المدرعة الكسندرا - أصيبت بثلاثين إصابة فى جدرانها وآلاتها . وبأربع وعشرين إصابة اخترت جدرانها فى أجزائها غير المدرعة فأحدثت بها اضرارا بالغة فى القنطرة الداخلية وفى غرفها

وغيرها . وأصابها أيضا قذائف وقنابل كثيرة في الجزء المدرع منها ولكنها على كثرتها لم تحدث فيه ضررا يذكر . وتلف مدفعان من مدافعا دون أن يصابا من جراء كثرة استعمالهما في الضرب . أحدهما عيار ١٠ بوصات أو ٢٥ سنتيمترا ووزن ١٢ طنا والآخر عيار ١١ بوصة أو ٢٧ ١/٢ سنتيمترا ووزن ٢٥ طنا . أما خسائر جنودها فقتيل واحد وجريحان .

٥ - المدرعة بنلوب - سقط أحد مدافعا وجرح من جنودها اثنان .

٦ - المدرعة انفلكسيل - أصيبت بقنبلة في جزئها الغاطس (تحت خط الماء) من مدفع من طراز ارمسترونج عيار ١٠ بوصات وهو أكبر عيار في مدافع الحصون المصرية . وكادت هذه الاصابة تغرقها لولا اسعافها . وقد ذهبت بعد المعركة إلى مالطة لاصلاحها . ولم تذكر إصابتها هذه في التقارير الرسمية التي قدمت للحكومة الانكليزية بل عمل عنها تقرير سرى للأميرالية ولم يذع . وكانت خسائر جنودها قتيلا واحدا وجريحين .

* * *

تقارير الأميرال سيمور عن ضرب الحصون

وقد رفع الأميرال سيمور ثلاثة تقارير عن ضرب حصون الاسكندرية في ١٤ و ١٩ و ٢٠ يولييه سنة ١٨٨٢ . وها هي : -

(١)

من ظهر البارجة انفسيل في ١٤ بوليه سنة ١٨٨٢

إلى سكرتير الاميرالية

سيدى

لى الشرف بأن التمس منكم أن تتفضلوا وتخبروا اللوردات
مندوبى الاميرالية أتى لم آتمكن فى هذا الوقت مع الأسف من
ارسال تقرير مفصل عن الهجوم على حصون الاسكندرية بسبب
انشغالى بهذه المهمة الشاقة .

انه بسبب اخفاق فى طلب الترضية عن المسائل التى كنت
كلفتم بطليها من حكومة مصر ، هاجمت فى ١١ الجارى البطاريات
المنصوبة على واجهة الاسكندرية الشمالية والاستحكامات المقامة فى
الشمال الغربى ونجحت فى اسكات الحصون فى منتصف الساعة
السادسة مساء وهو الوقت الذى اعطيت فيه الاشارة بالكف عن الضرب.

وفى صباح يوم ١٢ ثانى يوم الضرب أمرت تمرير
وانفلكسيل بأن تهاجم حصن فاروس . وبعد اطلاق مدفعين أو
ثلاثة رفع علم الهدنة على حصن رأس التين فأرسلت عندئذ
ضابط أركان الحرب الاونورايل هدورث لامبتن Hedworth Lambton
وكلفته باستجلاء السبب . ويؤخذ من تقريره أن كل ما فى
الأمر خديعة تافهة عملت لاكتساب الوقت بلا مرا . وبما أن

المفاوضات قد فشلت لأن طلبى هو تسليم البطاريات الحاكمة على بحر البوغاز - أطلق مدفع على سطح بطاريات ثكنات (قشلاقات) المكس . وعندئذ رفع علم الهدنة مرة أخرى . فأرسلت ضابط أركان الحرب المذكور ومعه القومندان مورسن Morrison إلى الميناء على ظهر السفينة هلكن . ولما ذهب إلى يخت الحديد (المحروسة) وجد أن طائفة هذا اليخت قد رحلت وعند إياها بعد دخول الليل أعلن أنه يعتقد أن المدينة أخليت من السكان .

وامس صباحا توغلت فى الميناء على ظهر البارجة افنسييل ومعى المدرعتان بنلوپ ومونارك وأنزلت إلى البر فرقة لتضع يدها على رأس التين .

وأرأى متأسفا لاخطرارى أن أخبركم أن مدينة الاسكندرية أصيبت بأضرار بالغة من الحريق والنهب .

وفى الساعة الرابعة وهـ دقيقة بعد الظهر وصل سمو الخديو الى سراى رأس التين وخصصت لحمايته ولاحتلال شبه الجزيرة سبعمائة بحار .

وفى العشية نزلت فرقة من البحارة إلى البر ومعها مدفع من طراز جاتلنج Gatling فطهرت بعض الشوارع من العرب الذين كانوا يحرقون بيوتها وينهبونها .

ويجب على أن أعرب عن اعجابى الزائد بالسلوك الذى سلكه الضباط ورجال الأسطول عند تأدية مختلف مهامهم وأن

أثنى عليهم الثناء الجم . وأخص منهم بالذكر الكابتن ولتر هنت جرب
ربان المدرعة سلطان وهو أقدم الضباط وقائد الأسطول الخارجى
ولقد قاتل المصريون قتال الأبطال بأقدام ثابتة وكانوا
يجابون النيران الشديدة التى تصبها على حصونهم مدافعنا الضخمة
الى أن قتل عدد كبير منهم .
وسأرسل عما قريب على قدر الامكان تقريراً مفصلاً
وأحبه بصور المراسلات .

وتجدون حجة هذا يانا بعدد القتلى والجرحى .

ولى الخ . . .
بوشامب سيمور
أميرال ورئيس القواد

قائمة القتلى والجرحى فى هذا القتال

الجرحى	القتلى
عدد	عدد
انفلكسييل ٢	انفلكسييل ١
الكسندرا ٣	الكسندرا ١
سوپرب ١	سوپرب ١
سلطان ٨	سلطان ٢
انفثسييل ٦	٥
پنلوپ ٨	
٢٨	
بوشامب سيمور ٩	

(٢)

من ظهر السفينة هلكن في ١٩ يولييه سنة ١٨٨٢

الى سكرتير الاميرالية

سيدى

لى الشرف أن ابعث لكم بالتفصيلات الآتية ليحيط اللوردات
مندوبو الاميرالية بها علما .

انه عندما ورد لى تعريف (صورته طيه) من اللفتاننت
سمث دورين Smith - Dorrien مضمونه أن مدفعين سينصبان عما
قريب فى حصن السلسلة ، أرسلت بلاغا الى قائد الاسكندرية
الحربى أعلتته فيه بأنى سأضرب الحصون عند شروق شمس يوم ١١
إن لم تسلم لى قبل هذا الوقت البطاريات المقامة على برزخ رأس الثين
وساحل الاسكندرية الجنوبي لأعطيها وبهذه الوسيلة أكون قد
نفذت تعليمات اللوردات التى وردت الى فى ١٠ الجارى .

وفى الصباح المبكر من يوم ١١ شوهدت السفينة هلكن
متجهة نحو المدرعة انفسيل التى كانت راسية فى عمر البوغاز ويخفق عليها
على . وفى منتصف الساعة السابعة صباحا أخبرت هلكن بالاشارات
أن على ظهرها ضباطا من المصريين يرغبون الاتصال بى . وقد
قدم هؤلاء الضباط الى بارجتى وهم ياور درويش باشا واثنان من
المصريين وسلمونى خطابا من سعادة راغب باشا رئيس مجلس

النظار وناظر الخارجية (صورته طيه) يقول فيه انه مستعد لانزال ثلاثة مدافع فأخبرتهم أنه من المستحيل قبول مثل هذا الاقتراح وأرسلت إلى سعادته الرد بهذا المعنى (صورته طيه) .

ولما تيقنت أن الضباط وصلوا إلى البر آمين أمرت بإطلاق النار على الحصون فأتى الرد حالا بشدة من خطوط المكس ومن البطاريات المنصوبة على الطوابى التي وراء الشدوب التي بجانبى البوغاز ، ومن رأس التين ، ومن حصنى الأطة وفاروس .

ولما ظفرت بأسكات الحصون فى منتصف الساعة السادسة مساء أعطيت الإشارة بالكف عن إطلاق النار .

وفى الصباح الباكر من يوم ١٢ بعد أن صوبت طلقتين أو ثلاثا على حصن فاروس رفع عليه علم الهدنة وعندئذ أرسلت ضابط أركان الحرب الاونورايل هدورث لامبتن الى الاسكندرية ليستطلع السبب فى رفع هذا العلم وزودته بتعليقات (صورتها طيه) فخواها أن يطلب بالنيابة عنى تسليم البطاريات المطللة على بحر البوغاز . وتجدون طيه اجابته التى لاتدع شكاً فى أن الغرض الوحيد من ذلك لم يكن إلا حيلة لاكتساب الوقت . وعلى أثر ذلك نزلت الرابطة .

وصوبت طلقة أخرى على المرتفعات القائمة عليها بطاريات مكينات المكس فارفع العلم مرة أخرى فأرسلت اللفتنان هدورث لامبتن والقومندان مورسن من ضباط السفينة هلكن الى يخت

المحروسة الخاص بسمو الخديو فلم يعثرا على أحد فيه وأعطيا إشارة بأن المدينة أخليت . ولما رجعت هلكن كان الليل قد أرخى سدوله . وعندما أشرقت شمس اليوم وأخذ الأسطول يتحرك دخلت الميناء فبينت أن النار كانت مشتعلة في مواضع شئ من المدينة ومن جملتها سراى الحريم في قصر رأس التين وأن الجنود أخلت الحصون . ووقتها علمت من مصدر يوثق به تمام الوثوق أن جنود عرابي لم تخل المدينة بل ذهبت للإقامة قرب عمود السوارى لتنتظرننا على ما يقال هناك رأيت أن من واجبات استعمال الحكمة فأنزلت فصيلة من المدرعة انفسيل وأخرى من موناك بقيادة الكابتن فيرفاكس Fairfax بقصد تسمير أو نفس المدافع المنصوبة بين القبارى وصالح وهى المدافع التى كانت تصوب طلقاتها على الميناء . وكان هذا العمل منى من الاحتياطات الأولى .

وفى خلال القيام بهذه الاحتياطات أرسلت سفن المدفعية الى المدرعات الراسية خارج الشعوب المجاورة للجانبى البوغاز لتستحضر منها عساكر البحرية فاحتلت سراى رأس التين نفسها وسمرت عددا كبيرا من المدافع التى كانت تسدد طلقاتها على سفننا . وقبيل هذا الوقت زارنى احمد توفيق افندى ياور سعادة درويش باشا وبمعيته أمير الآلاى زهران بك ياور سمو الخديو وكان قادما من سراى الرمل الواقعة على بعد أربعة أميال تقريبا من الاسكندرية ليسألنى إذا كنت مستعداً لأن آخذ على عاتقى قبول الخديو لأن

الحالة تدعو الى الخوف على سلامته بسبب الااليات الثائرة التي تحيط به . فأظهرت في الحال استعدادى لبذل مايفيد سموه . وقبيل الساعة الرابعة مساء تشرفت باستقبال سموه عند باب السراى التى لم تصب لحسن الحظ من نار السفن الا بضرر طفيف فى يوم ١١ .

الامضاء

ولى الخ ... م

پوشامپ سيمور
أميرال ورئيس القواد

(٣)

من ظهر المدرعة انشميل بالاسكندرية فى ٢٠ يولييه سنة ١٨٨٢
الى سكرتير الاميرالية .

سيدي

الحقا لبيانى المفصل والمورخ فى ١٩ الجارى أشرف بان أرفع لكم - لأحاطة اللوردات بما سينذكر بعد - تقريراً آخر أكثر تفصيلاً من البيان المذكور الذى تيسر لى ارساله عن القتال الذى دارت رحاه بين الأسطول الذى تحت قيادتى والحصون المدافعة عن الاسكندرية .

لقد سبق أن قررت كما يتبين من بيان ترتيب القتال المصحوب بهذا والذى سلبت منه نسخة إلى كل ربان أن أجعل الهجوم قسمين - قسم تقوم به سلطان ، وسوبر ، والكسندرا على جانب

رأس التين الشمالى وتعاونها فى ذلك المدرعة انفلكسيل التى كانت راسية فى مدخل ممر البوغاز الصغير باطلاق مدافع برجها الخلفى حتى تستطيع بذلك اسكات بطاريات حصن الفنار من الجنب . والقسم الآخر تقوم به انفسيل ، ومونارك ، وبنلوب من داخل الشعوب وتعاونها فى ذلك الانفلكسيل باطلاق مدافع برجها الامامى وكذلك المدرعة تمرير التى اتخذت مقرها بجوار الشمندورة التى بواسطتها يستدل على مدخل البوغاز .

وانفصلت كل من السفينتين هلكن وكندور لانها كاتتا من سفن الاعادة . أما السفن ييكن ، وبترن ، وسينت ، ودكوى . فقد استخدمت حسب الاوامر التى كانت قد أصدرت إليها للأشارات طول يوم الضرب .

وفى يوم ١١ يوليه فى الساعة السابعة صباحا أمرت البارجة الكسندرا بالاشارة من ظهر انفسيل أن ترسل قذيفة إلى الستائر الحديثة التى كان قد تم إصلاحها وسلحت ويقال لها بطارية الاسبتالية وأردفت هذا الأمر بأشارة عامة إلى الاسطول أن هاجموا بطاريات الأعداء . فتبذل الضرب فى الحال بين السفن وهى فى المواقف التى رسمت لها وجميع الحصون المشرفة على مدخل ميناء الاسكندرية واستمر اطلاق النيران بشدة من الجانبين ومن كل صوب وناحية إلى منتصف الساعة الحادية عشرة صباحا . وكانت المدرعات سلطان وسوپرب ، والكسندرا إلى هذه الساعة رافعة مراسيها فألقتهما

في مياه حصن الفنار . وبقدائفها المحكمة مع معاونة المدرعة انفلكسييل لها بعد أن رفعت مرسائها وانضمت إليها في منتصف الساعة الأولى بعد الظهر ، نجحت في اسكات معظم مدافع حصون رأس التين . ولكن بعض مدافع حصن الأطة الضخمة بقيت مستمرة في الضرب إلا أنه كان ضربا غير متواصل . وقيل منتصف الساعة الثانية قذفت المدرعة سوپر - وكانت حركاتها من بعد الظهر موفقة جدا - قبلت على هذا الحصن فنسفت مستودع باروده فاضطرت بقية حاميته إلى الانسحاب حالا . وعندئذ وجهت هذه المدرعات قوتها إلى حصن فاروس فأسكتته بعد أن انضمت إليها في منتصف الساعة الثالثة المدرعة تمرير وكان ذلك عندما قذفته المدرعة انفلكسييل بقذيفة أوقعت مدفعا من مدافعه الضخمة .

وكانت حركات بطاريات حصن الاستبالية من البداية الى النهاية تساس بطريقة موفقة جداً . ومع أن هذا الحصن أسكت وقتاً ما على أثر ضربه بقذيفة من المدرعة انفلكسييل فان جنوده لم يتخلوا عن مدافعهم إلا بعد أن أكرههم نيران مدافع هذه المدرعة والأسطول الخارجى على التخلي عنها .

والمدرعة انفلكسييل التي يخفق عليها على بمساعدة المدرعة بنلوپ وكانت الاثنان ملقيتين مراسيها غير أن الأخيرة غيرت مرساها في ظرف من الظروف . والمدرعة مونارك الطليقة داخل منطقة الشعوب . والمدرعتان انفلكسييل وتمرير الطليقتان في البوغاز ومدخل البوغاز الصغير ، قد نجحت كل هذه المدرعات بعد اشتباكها في

قتال دام بضع ساعات في اسكات بطاريات خط المكس وتخریب جزء منها .

ودمر حصن مرسى القناة على أثر انفجار مستودع باروده وبعد قتال مع المدرعة موناك دام نصف ساعة .

وفي الساعة الثانية بعد الظهر عندما شاهدت أن جنود مدفعية البطارية المنخفضة التي في الجهة الغربية من المكس تركوا مواقعهم وأنه من المحتمل أن يكون المساعدون انسحبوا إلى القلعة أحضرت السفن والمدفيعات وتحت حماية طلقات مدافعها أنزلت إلى البر فصيلة مؤلفة من اثني عشر من الجنود المتطوعين بقيادة اللفتنانة برادفورد Bradford من ضباط المدرعة انشسبل وبمعيته اللفتنانة رتشارد پور Richard poore من ضباط هذه المدرعة أيضا والفتنانة الاونورابل هدورث لامبتن ضابط اركان الحرب والماچور تلك من الآلاى ولش الذى بأركان حرب أميراليتى والاسبران مستر هاردى Hardy . وهؤلاء جميعا نزلوا في زوارق سارت بهم في وسط الأمواج وأتلفوا مدفعين من نوع الششخانه عيار ١٠ بوصات بالدیناميت وسمروا ستة مدافع من الطراز القديم كانت مقامة بالجهة اليمنى من المكس . ثم رجموا ولم يخسروا الا زورقا من زوارق السفينة برن تحطم على الصخور . وهذا العمل يعد ضربا من المخاطرة ولكنه تم بمهارة فائقة .

وعند ما أضحى القتال عاما رأى القومندان لورد تشارلس برسفورد Lord Charles Beresford من ضباط السفينة كندور القائمة بوظيفة الاعداد أن مدفعين من مدافع حصن المرباط من نوع الششخانه عيار ١٠ بوصات يصوبان قذائفها الى السفن المحاربة التي أمام حصن المكس فاقرب بسفينته الى المسافة التي يتمكن منها مدفعها الذي عياره ٧ بوصات ووزنه ٩٠ قنطارا من اصابة المرمى وحول حالا وجهة ضرب المدفعين المذكورين . فأمرته وقتئذ أن يستمد معونة السفن يكن ، وبترن ، وسينت . وكانت سينت اشتبكت قبل الظهر بقليل مع حصون رأس التين .

وأراني سعيدا اذ أخبركم بأن هذه السفن لم تصب بأى ضرر وذلك بفضل ما أبدته من المهارة فى مناوراتها . وقد سوغ لها قصر غاطسها - من حسن الحظ - أن تتخذ لها موقفا أمام أضعف نقط بطاريات الحصون .

واتتهت الحرب بالفوز فى منتصف الساعة السادسة مساء وهو الوقت الذى أقت فيها السفن مراسيها لقضاء ليلتها .

ولو استعمل كل مدفع من المدافع المنصوبة على خط التحصينات لكانت القوة التي صادمتنا أشد هولا وأكثر رهبة . ولكن بطاريات رأس التين استخدمت قليلا من المدافع من الطراز القديم وأقل منها من المدافع الفرنسية عيار ٣٦ . وهذه المدافع مشتراة من عهد محمد على لأن المصريين يؤثرون استعمال المدافع الانكليزية عيار

١٠ و ٩ و ٨ بوصات . وأيضا المدافع الانكليزية الصغيرة من طراز الششخانة . وهذه المدافع هي بالضبط نفس المدافع المسلحة بها سفن جلالة الملكة . ولا يمكن العثور على أفضل من هذه المدافع بين المدافع التي تبعا من فوهاتها . وكانت المدافع المصرية مزودة بقذائف من أحدث طراز . واستخدمت ذخيرتها بكثرة لدرجة الاسراف . وكان تصويب المدافع يدعو الى الاعجاب ويمكن أن يقال ذلك أيضا عن مدافع خطوط المكس لولا أنها استخدمت أكثر المدافع من عيار ٣٦ ومدفعا أو اثنين من عيار ١٥ بوصة من طراز الششخانة فضلا عن المدافع التي من عيار ١٠ و ٩ بوصات والمدافع الصغيرة الششخانة .

واستعمل حصن المراتب مدفعين من مدافع الششخانة ذات المرمى البعيد عيار ١٠ بوصات وكان كل واحد منهما يرمى قذائفه نحو الآخر في اتجاه الاسطول الراسي قريبا من الشاطئ والمصطف بكيفية تدعو الى الاعجاب فتخطى المرمى بمسافة تتراوح بين ١٠ و ٣٠ ياردة .

ولم تنفجر أية قنبلة من القنابل التي قذفها بطاريات الجنوب على ظهر سفن صاحبة الجلالة في خلال اليوم . وتجردون صحة هذا تقريرا رسميا مقدما من الكابتن هنت جرب قائد البارجة سلطان لعرضه على أصحاب السعادة الأميرالية . وقد تولى هذا الكابتن قيادة الاسطول الخارجى فقام بهذا العبء بكفاءة وجدارة تستوجبان الاعجاب . فقد تلقى هذا الاسطول ويلات الحسرب كما يؤيد ذلك تمام التأيد البيان

الذى مع هذا الخاص بالأضرار التى لحقت المدرعات سلطان،
وسوبرب، والكسندرا . وليس لدى ما أقوله عن الأضرار التى حلت
بالمدرعة پنلوپ . فهذه البارجة انفصلت عن أسطولى بعد أمد قليل .
والجزء العلوى من بناء المدرعتين انفكسبيل وانفكسبيل أصابه أكثر
من قذيفة غير أنه لم يترتب على ذلك ضرر جسيم .

وأرأى عاجزاً عن أن أوفى جميع الضباط الذين قادوا
السفن ما يستحقونه من المدح والثناء على ما أولوني من المعونة فى
هذه الظروف ويجب على أن أخص بالشكر الكابتن هنت جرب
الذى قام بقيادة الأسطول الخارجى والذى أريد أن ألفت إليه
أنظار أصحاب السعادة الأميرالية . ويسرنى أيضاً أن أشكر الكابتن
ثوماس وورد Thomas Ward من ضباط المدرعة سوبرب والكابتن
تشارلس هوثام Charles Hotham من ضباط المدرعة الكسندرا وكلا
الاثنيين تابع للأسطول الخارجى . والكابتن هنرى نكولسن
Henry Nicholson من ضباط المدرعة تمير . وجون فشر
John Fisher من المدرعة انفكسبيل ، الذين أدوا خارج البوغاز
الاعمال التى عاونوا بها الأسطول الواقف بجوار الساحل وساعدوا
بعد ذلك على الهجوم الموجه نحو الشمال . والكابتن هنرى فيرفاكس
Henry Fairfax من ضباط المدرعة مونارك ، والكابتن سان
جورج دارسى إرفين St. George D'Arcy Irvine من ضباط
المدرعة پنلوپ ، وروبرت مور ملنو Robert More Molyneux للبسلك

الذى سلوكه فى تأديّة واجباتهم على اختلافها .

والقومندانان جورج هاند George Hand أقدم الضباط الذين فى رتبته ومن ضباط ييكن . ولورد تشارلس برسفورد من ضباط السفينة كندور . وتوماس براند Thomas Brand من ضباط بترن . واللفتنانت هغ ريدر Hugh Ryder قومندان السفينة سينت . وهذا الضابط له فى الخدمة أكثر من ١٥ سنة . واللفتنانت ارثر بلدرو Arthur Boldero قائد السفينة دكوى . وجميعهم ضباط جديرون كثيراً بالترقية . والمهمة التى ألقيت على عواتقهم قبل الحرب وبعد الحرب كانت شاقة جداً . إذ من المعلوم أنهم قاموا بالمواصلات بين السفن الواقعة داخل وخارج منطقة الصخور . وكثيراً ما كانوا يقومون بهذه الخدم فى جو مكفهر وفى أثناء الليل حيث تستدعى الحالة مزيد الانتباه فى المناورات والمعرفة التامة بإدارة السفن .

كما يهجنى أن أدلى باسم اللفتنانت وليم مورسن William Morrison من ضباط السفينة هلكن . فلقد تعرض هذا الضابط أكثر من مرة لنيران بطاريات الشمال حينما كان يعيد الاشارات التى كنت أعطيها وهو على ظهر سفينة لم تب تأغراض حريية وعلى العموم أرى نفسى مديناً لضباط وجنود الأسطول بوجه عام فانهم كلوا هذا الكفاح بالنصر وختموه ختاماً سريعاً . ولقد لفت نظرى بوجه خاص الكابتن هوثام من ضباط

المدرعة الكسندرا الى عمل مجيد قام به مستر اسراييل هاردنج Israel Harding من جنود مدفعية الكسندرا . ذلك انه رفع قذيفة ملتهبة عيار ١٠ بوصات اخترقت جنب السفينة وسكنت في القنطرة الرئيسية ووضعها في وعاء الماء ، الامر الذي لولاه لكان من الجائز أن تنفجر وتودى بحياة عدد كبير من الجنود . وقد لفت نظري أيضا إلى سلوك القومندان الان توماس Alan Thomas من المدرعة الكسندرا الجدير بالمدح والثناء طول هذا اليوم . وانى لوائق كل الوثوق بأن هذا الضابط وهسكنز Hoskins قومندان أركان حرب السفينة التي يخفق عليها على . وهو الذي كتب عنه الكابتن هنت جرب تقريرا . نعم . انى لوائق أن هذين الضابطين لايتأذبان من غيابة الاضطرارى عن هذه السفينة . وكافة الرباين يوجهون عبارات المدح المستطاب والثناء الجم الى ضباطهم والى الملاحين لحسن سلوكهم .

ويستحيل بالكلية أن أبين بالتفصيل الأضرار الطفيفة التي حلت بسفن جلالة الملكة في خلال هذا الكفاح من القذائف والطلقات التي أصابتها أو أفصل كذلك العطب الذي منى به جسم البوارج سوپرب ، وسلطان ، والكسندرا ، ولاعطب المدرعات انفنسيل وبنلوپ ، وانفلكسيل الذى هو أقل أثرا من عطب الثلاث الأول ولكنى أستطيع أن أعرب عن شديد أسنى لوفاة اللفتنانت فرنسيس چاكسن Francis Jackson ومستر وليم شنن William Shannon

نجار المدرعة انفلكسيل . ويؤخذ من الأخبار الأخيرة عن الجرحى أن حالتهم آخذة في التحسن وقد أرسلوا الى مالطة على ظهر الباخرة همبر .

. وتجدون صحة هذا قائمة بأسماء فصيلة المتطوعين التي قامت بتسمير مدافع بطاريات المسك وكذلك أسماء ملاحى الزوارق .

بطولة رجال المدفعية المصرية

لقد أبدى كل الذين كتبوا عن حادث ضرب الاسكندرية الأليم بالاجماع ثناءهم ، على رجال المدفعية المصرية لما أظهروه في ذلك اليوم من البسالة والشجاعة في كفاح قوة لاتناسب بينها وبينهم . واني لم أشأ هنا أن أذكر في التنويه بفضلهم إلا ما ذكره شهود العيان ومن بينهم خصومهم الذين حضروا القتال وشهادة هؤلاء جميعا أوجه بالطبع من شهادة الذين لم يشهدوا هذه الحرب .

فلقد كان الانكباب يتخيّلون قبل الدخول في هذه الحرب كما اعترفوا بذلك فيما بعد أن اسكات الحصون أمر هين لين . وهذا الاعتراف يهدم مخاوفهم على سفنهم من أساسها ، تلك المخاوف التي طالما ادعوها وتشبثوا بها . ولكن المقاومة التي لاقوها والثبات الذي أبداه جنود المدفعية المصرية في ملازمة مدافعهم واستماتتهم بجانبها كل هذا أدهشهم وجعلهم ينطقون بالرغم منهم بالمدح المستطاب والثناء العاطر على هؤلاء الجنود الأبطال .

وأبدأ هذه الشهادات بشهادة الأميرال سيمور نفسه الذى قال
فى تقريره المؤرخ فى يوم ١٤ يوليه سنة ١٨٨٢ للأميرالية البريطانية :-
لقد قاتل المصريون قتال الأبطال وثبتوا فى مواقفهم ثبات
الشجعان وكانوا يجاوبون النيران الشديدة التى كانت تصبها عليهم مدافعنا
الضخمة الى أن فنى بلا شك أكثرهم . ١ هـ

وقال القومندان هنت جرب قائد المدرعة سلطان
وقائد الأسطول الخارجى فى تقريره للأميرال سيمور :-

ولما وجدت أن الحصون أقوى مما كان يظن قبلا وأن جنود
المدفعية المصرية لا يسهان بهم وانهم فى الواقع يحكمون الضرب ، رأيت من
الصواب أن التى المراسى لى حصل على المسافة اللازمة بالدقة . ١ هـ

وقال القومندان جودريتش من رجال البحرية الامريكية الحربية
الذى كان على متن السفينة الحربية الامريكية لانكاستر Lancaster ورأى
كل ماحدث بعيني رأسه فى تقريره ص ٣٦ :-

وجاوب المصريون رغم التفات الذى كان بينهما من ناحية
العدد ومن ناحية عيار المدافع على النيران المتدفقة من أفواه مدافع
الاسطول الانكليزى اجابة مدهشة لم تكن متوقعة بتاتا بشجاعة
تستوجب الاعجاب . وعندما كانت المدرعة انفلكسيل ترسل
مقذوفات زنة كل منها ١٧٠ رطل على حصن الفنار وتصيب ساتره
فتشير الانقاض والأتربة الى علو الفنار نفسه ويتخيل المرء عند ما

يرى ذلك أنه ليس في الامكان أن يعيش أى انسان تحت نيران كهذه النيران ، لا يلبث بعد بضع دقائق عندما ينقشع الغبار أن يرى جنود المدفعية المصرية ملازمين مواقفهم يطلقون قذائفهم على خصمهم الرهيب . ا هـ

وقال المايجور ثلثك من رجال قلم المخابرات (وترقى الآن الى جنرال) وكان على ظهر المدرعة انفسيسيل فى كتابه (ذكريات أربعين عاما فى الخدمة) ص ٢٨٦ :-

وبعد أن نزلت الى البر بزمى يسير طفت حول البطاريات التى بقرب رأس التين فوجدت منظر البعض منها ينفطر منه القواد وسمعت فيما بعد من مصدر وثيق أن الخسائر فى الارواح من جنود المدفعية ومن جنود البيادة الذين كانوا خلف الحصون بلغت أكثر من ثمانمائة . وقد وسقت بالقتلى العربات فى أثناء القتال . ولكن لما كان عدد القتلى فى نهاية الحرب كبيرا جدا فتحت لهم حفرة واسعة فى رأس التين وألقيت أجسادهم فيها ثم ووريت فى التراب . ومع هذه الموارد يستطيع الانسان فى عدة مواضع من هذه المقبرة أن يرى الطبقة العليا من هذه الأجساد ظاهرة على وجه الأرض . وقد سقط سائر الحصن على بعض الجنود فأزهق أرواحهم وبقيت أجسادهم تحت الانقاض دون أن يستطيع أحد اخراجها . ووجدت جثة ضابط مصرى وجثث ستة من الجنود المصرية البواسل تحت مدفع انقلب بقذيفة .

وعندى أنه لا يستطيع الا القليل من الناس أن يؤدوا واجباتهم مثل ما أداها أولئك الجنود الذين كانوا فى الحصون فى ذلك اليوم . وليس فى مقدور الانسان أن يخفى دهشته وإعجابه من أن هؤلاء الجنود فى الحالة التى كانت فيها النيران تحيـفهم من كل جهة أرادوا أن يرفعوا أحد المدافع من سقطته التى سقطها . وفى حالة أخرى وهم فى معمة القتال حاولوا أن يرجعوا مدفعا الى موضعه وهم تحت وابل من النيران .

وفى المكس كان يوجد ساتر من الرمال سميك توارى خلفه جنود المدفعية ولكن على طول امتداد البطاريات الشرقية لم يكن يوجد إلا ستائر عتيقة من الأحجار فى قليل من المواضع ، والآنقاض التى تقوضت منها لابد أن تكون قد أحدثت خسائر جسيمة فى الأرواح . ١٥

وقال البارون دكيوزل بك Le Baron De KuseI Bey وكيل مصلحة الجمارك المصرية الذى كان على السفينة تنجور أمام الاسكندرية فى كتابه (ذكريات رجل انكليزى عن مصر) ص ٢٠٠ :-

لقد ثبت جنود المدفعية المصرية فى مواقفهم أمام نيران المدرعات الانكليزية الهائلة الفتاكة ثباتا دل على بسالتهم وبطولتهم . وظلوا يلقيون القنابل باستمرار فتصيب أهدافها من هذه البوارج - الى أن قال فى هذه الصفحة أيضا - وليست المسألة مسألة ريبة فى بطولة الجنود المصرية فلقد قاتلوا مستبسلين ، ولكن لم يكن لهم الالمام التام بسلاحهم ليجنوا من دفاعهم ولو بعض النجاح .

ولم ينقض الضرب إلا في منتصف الساعة الثانية عشرة صباحا (أى من يوم ١٢ يولييه) لأن المصريين اذا كان لديهم مدفع فى أى موضع لم يكن قد سقط ، استعملوه إلى أن يكره هذا المدفع على السكوت إكراها . ١٠ هـ

* * *

وقال مسيو سكوتيدس Scotidis وكيل قنصل اليونان فى الاسكندرية فى كتابه (مصر المعاصرة وعربى باشا) ص ١٦٨ و ١٦٩ :-

وعند الطلقة الخامسة جاوبت بطاريات البر بنشاط وإحكام أدهشا الانكليز . وتقدمت البوارج الانكليزية ، تلك المدرعات الضخمة ، تسير ببطء واتخذت لها موقفا أمام الحصون وصوبت اليها نيران مدافعها فى مركز واحد . وقد كانت قذائفها الهائلة تدعو الى الظن بأنها ستدمرها تدميرا . ولقد كانت هذه القذائف تحطم المدافع الضخمة وتقلب قواعدها وتنسف مستودعات البارود وتحفر حفرا يقع فيها المصريون التعساء . وعندئذ تقرب شيئا فشيئا لتضعف قوة هؤلاء المصريين بتقويض حصونهم بطوفان من قذائف مدافع السربند المقامة على ساريات السفن .

وكانت قذائف المدافع المصرية تسقط فى البحر وهى فى منتصف الطريق فتثير عجاج الماء . والبعض الآخر يصطدم بمدافع الانكليز الضخمة فيرتد عنها كأنها جسم من المطاط ويغوص فى

البحر . ومع هذا فلا ينبغي الا الاعجاب بما أبداه جنود المدفعية المصرية من البطولة والبسالة والثبات في مواقعهم وراثاء أولئك الضحايا الذين راحوا طعمة للنار بطيش عرابى ورعوتته وبجرأته التى أظهرها عبثا . وكان معظم الحصون بلا سائر قنبلت القنابل من مدافعها ما كان أكثر قوة وأعظم خطرا وأحاطتها بالمئات من جثث القتلى . وفى خلال انتشار الدخان الكثيف الذى يسوقه النسيم فى بعض الأوقات كان هؤلاء الجنود الشجعان الذين كانوا يستطيعون أن يخدموا وطنهم فى ظروف أخرى ، يمثلون بحق الأبطال الذين يدفعون غارات الجبابرة . ١٥

هذه شهادات كلها صادرة من شهود عيان معظمهم من الخصوم وانها لأقوى برهان على أن ضباط وجنود الجى ألاى طوبجية سواحل قاموا فى ذلك اليوم الأسود المشؤوم بما هو فوق الواجب فاستحقوا بذلك أكبر التقدير مع تخليد الذكر وعظيم الشكر . رحمهم الله وعزانا وعزى هذا الوطن الأسيف فيهم .

ولإزاء ما قام به هذا الألاى من ضروب الشجاعة والأقدام والأخلاص للوطن لدرجة التضحية بآخر أنفاسه فى سبيل الذود عن حياضه ، رأينا تخليداً لذكرى أعمال ضباطه وجنوده المجيدة أن نثبت أسماء من عثرنا على أسمائهم منهم مع ذكر عددهم جميعاً فى الجدول الآتى ، وها هو كما استخرجناه من دفاتر دار المحفوظات المصرية :

۱ جی الای طوبجیة سواحل

الرتب	الاسماء	عدد
أمیر الالای	اسماعیل بک صبری	۱
قائمقام الالای	محمد بک نسیم	۱
۱ جی بکباشی	عبد العال افندی ابو العلا	۱
۲ جی د	سیف النصر افندی	۱
۳ جی د	محمد افندی شرمی	۱
۱ جی صاغ	رافت افندی سری	۱
۲ جی د	صبحی افندی هاشم	۱
۳ جی د	محمد افندی رفعت	۱
		۸

أركان حرب وأطباء وكتاب وغيرهم

	عدد
صاغ	۱
د	۱
حکیمباشی الالای	۱
ملازم اول اجزجی	۱
د ثان تعلیمجی الاشارة	۱
کاتب اول الالای	۱
	۶
	۸

- ١٣٣ -

عدد	ماقبله	عدد
٨	ماقبله	٦
	(تابع أركان الحرب وغيرهم)	
	الاسماء	الرتب
١	رضوان افندى رضوان	كاتب ثانى الألاى
١	مصطفى افندى الخولى	، ثالث ،
١	موسى افندى الوردانى	، رابع ،
١	فرج افندى عوض	، الأشغال المتأخرة
١	الشيخ محمد عبد العال	امام وخوجه
١	الشيخ عبد الله ابراهيم	امام
١٥	٣ توفتيه	
	بلوك	
عدد		
١	مصطفى افندى مختار	يوزباشى
١	احمد افندى قنديل	ملازم اول
١	حسن افندى مكى	، ثان
١	اسماعيل افندى صبرى	، ،
١٢٩	١٢٥ صف ضباط وعساكر	
	مذكورون بدون تفصيل	
عدد		
٨٤	٨٤ صف ضباط وعساكر	
٢٣٦		

- ۱۳۴ -

عدد	ماقبله	بلوك
۲۳۶		
عدد	الاسماء	الرتب
۱	علی افندی بهجت	یوزباشی
۱	محمد افندی حامد	ملازم اول
۱	محمود افندی خلیل	د ثان
۱	محمد افندی حلی	د د
۱	محمد افندی عبد الخالق	صول
۱۳۲	۱۲۷ صف ضباط وعساكر	
	مذكورون بدون تفصیل	
عدد		
۹۹	۹۹ صف ضباط وعساكر	
بلوك		
عدد		
۱	احمد افندی فهمی	یوزباشی
۱	محمد افندی الموجی	یوزباشی
۱	دهشان افندی عزمی	ملازم اول
۱	سلیم افندی صائب	د د
۱	غنیف افندی هدهد	د ثان
۱۸۱	۱۷۶ صف ضباط وعساكر	
۶۴۸		

- ۱۳۵ -

عدد	مقابلہ	مذکورون بدون تفصیل
۶۴۸	عدد	۵۲ انفار
	بلوک	
عدد	الاسماء	الرتب
۱	عبد الحمید افندی الجندی	یوزباشی
۱	محمد افندی امین	ملازم اول
۱	احمد افندی ہادی	د
۱	سلیمان افندی بہجت	د
۱۱۳	صف ضباط وعساکر	د
۱۱۷	مذکورون بدون تفصیل	
عدد	۷۶ انفار	
	بلوک	
عدد		
۱	عبد الرحمن افندی نجیب	یوزباشی
۱	محمد افندی نایل	ملازم اول
۱	عبد الرحمن افندی الشافعی	د
۱	محمود افندی رضی	د
۱	احمد افندی کامل	د
۱	علی افندی خضر	د
۱۳۵	صف ضباط وعساکر	صول
۱۴۱		
۱۰۳۴		

عدد

۱۰۳۴ ماقبله
مذكورون بدون تفصيل

عدد

۸۰ ۸۰ أنفار

بلوك

الرتب	الاسماء	عدد
يوزباشى	يوسف افندى صفوت	۱
يوزباشى	حسانين افندى زغلول	۱
ملازم اول	عرفه افندى احمد	۱
»	ابراهيم افندى مسلم	۱
ملازم ثان	عبد القادر افندى خيرى	۱

۱۰۷ ۱۰۲ صف ضباط وعساكر

مذكورون بدون تفصيل

عدد

۹۴ ۹۴ صف ضباط وعساكر

بلوك

عدد

يوزباشى	على افندى فهمى	۱
ملازم اول	عمار افندى عونى	۱
ملازم »	يوسف افندى سرى	۱
» ثان	احمد افندى فضلى	۱
»	محمد افندى على	۱

۵

۱۳۱۵

- ١٣٧ -

عدد

١٣١٥ ماقبله

عدد

٥ ماقبله

١٥٥ ١٥٠ صف ضباط وعساكر

مذكورون بدون تفصيل

عدد

٣١ ٣١ انفار

بلوك

عدد

يوزباشى	١	مصطفى افندى حسين
ملازم اول	١	حسانين افندى زغلول
" "	١	ابراهيم افندى مسلم
" "	١	عدوى افندى حلى
" ثان	١	حسن افندى أنيس

١٦٦ ١٦١ صف ضباط وعساكر

مذكورون بدون تفصيل

عدد

٦٣ ٦٣ صف ضباط وعساكر

صناعية ييلوك العماره

عدد

٣٣ ٣٣ صف ضباط وعساكر

١٧٦٣ المجموع الكلى

واليك نبذا صغيرة عن بعض ضباط هذا الألاى الذين
أمكننا معرفة شئ عنهم نثبتها هنا طمعا فى أن يطلع عليها المطلعون
فيوافونا بما يكمل تاريخ حياتهم وتاريخ حياة من لم نعرف عنهم
شيئا ولم نذكر عنهم نبذا :-
* * *

١ - أمير الألاى اسماعيل بك صبري

حضر حرب الحبشة سنة ١٨٧٥ م ، وحرب الروسيا
سنة ١٨٧٧ و سنة ١٨٧٨ م . ثم حضر ضرب مدينة الاسكندرية
فى ١١ يوليه سنة ١٨٨٢ م .

٢ - القائمقام محمد بك نسيم

هو والد صاحب الدولة توفيق باشا نسيم . حضر حرب الحبشة
سنة ١٨٧٥ م ، وحرب الروسيا سنة ١٨٧٧ و سنة ١٨٧٨ م . ثم
حضر ضرب مدينة الاسكندرية فى ١١ يوليه سنة ١٨٨٢ م . وترقى
بعد الاحتلال الى رتبة أمير ألاى . وأحيل الى المعاش بناء على
طلبه . ثم أنعم عليه برتبة الباشوية .

٣ - البكباشى سيف النصر افندى

هو والد صاحب العزة حمدي بك سيف النصر . حضر
ضرب مدينة الاسكندرية فى ١١ يوليه سنة ١٨٨٢ م وترقى بعد
الاحتلال الى رتبة قائمقام . وتوفى فى الخدمة وهو رئيس قرعة مدينة
الاسكندرية .

٤ - الملازم الثانى احمد افندى فضلى

كان من أنجب تلاميذ المدرسة الحربية التى كانت تحت إدارة الجنرال لارمى باشا الفرنسى فى عهد الخديو اسماعيل وحضر ضرب مدينة الاسكندرية فى ١١ يوليه سنة ١٨٨٢ . وبعد الضرب وانسحاب جنود عرابى منها ، عين فى فرقة كفر الدوار . فنصب الجنود الانكليزية مدافعهم فوق الجبل المجاور لخزان الماء بالقرب من أبى النواتير . ويقال ان الخديو توفيق كان قد توجه الى تلك الجهة ليرى من فوق هذا الجبل خط نار العرايين الذى كان بجهة عزبة خورشيد . فعندما أبصر احمد افندى فضلى بمنظاره تجمعهم فوق الجبل المذكور وكان لا يعلم بوجود الخديو معهم ، أطلق عليهم قنبلة من مدفع كروب وقعت بجوار الخديو توفيق ولكنها لم تنفجر . وقد رقى بعد الاحتلال الى رتبة لواء ثم أحيل الى المعاش وهو فى منصب مدير عموم القرعة .

٥ - الملازم الأول محمد افندى لمعى

هو ابن الشيخ عبد الله البوهي ابن الشيخ ابراهيم البوهي إمام المغفور له سعيد باشا والى مصر . تعلم بقسم الصيدلة بمدرسة الطب بقصر العيسى وتخرج منه والتحق صيدليا بالجيش إلى أن جاءت الحوادث العراية فكان ملازما أول وصيدليا أول فى ١ جى ألى

طوبجية سواحل الذى دافع عن حصون الاسكندرية يوم ١١ يوليه سنة ١٨٨٢ . وقد نجا من الموت وبقي بالجيش الى أن كانت حوادث السودان وثورة المهدي . فارسل الى السودان صيدليا باحدى الآلات المصرية . ولما تغلب المهدي على السودان انقطعت أخباره عن ذويه . ومن ذلك الحين لم يتلقوا عنه خبرا الى أن فتح السودان . وقد تحققوا بعد ذلك انه قتل مع من قتل من المصريين بعد تغلب المهديين على السودان . وقد ترك من الذرية ولدا واحدا كان يسمى ابراهيم محمد لمعى توفي وهو قتي لم يبلغ مبلغ الرجال .



فهرس

الصفحة	الموضوع
٤ - ٣	المقدمة
٣٦ - ٥	حصون مدينة الاسكندرية
١٢ - ٥	١ - الحصون من قبل الفتح الاسلامى الى حكم المماليك
١٢	٢ - الحصون فى أواخر حكم المماليك الجراكسة
٢٣ - ١٢	٣ - الحصون قبل حكم محمد على
٢١ - ١٣	سور العرب وتخطيطه وأبراجه
١٤ - ١٣	الجهة الشمالية منه
١٤	الجهة الشرقية منه
١٥ - ١٤	الجهة الجنوبية منه
١٦ - ١٥	الجهة الغربية منه
١٧ - ١٦	جزء من الاسكندرية كان خارج السور وواقعا فى شماله
٢٠ - ١٧	وصف السور ووصف أبراجه وقت مجىء الحملة الفرنسية
٢٢ - ٢٠	تعليق على هذا الوصف
٢٢ - ٢١	الحصون التى كانت بالاسكندرية عند مجىء
	الحملة الفرنسية
٢٣ - ٢٢	الحصون والبطاريات التى أقامها فيها الفرنسيون

الصفحة	الموضوع
٣٠ - ٢٣	٤ - الحصون في حكم محمد علي
٢٤	جدول بيان الحصون وتسليحها في هذا العهد
٢٦ - ٢٥	زيادة هذه الحصون في أواخر عهد محمد علي وقائمة بأسمائها والمدافع التي سلحت بها
٣٠ - ٢٧	بيان هذه الحصون ومواقعها
٣١	٥ - الحصون في حكم إبراهيم باشا
٣٥ - ٣١	٦ - الحصون في حكم عباس الاول
٣٥	٧ - الحصون في حكم سعيد باشا
٣٦ - ٣٥	٨ - الحصون في حكم الخديو اسماعيل
٣٦	المدافع الحديثة التي ابتاعها الخديو اسماعيل لتسليح هذه الحصون بها وعددها وعيارها
٤٦ - ٣٧	موازنة بين هذه الحصون والأسطول البريطاني
٣٩ - ٣٧	وصف هذه الحصون وحالة تسليحها
٤٠ - ٣٩	حصون ساحل الاسكندرية التي كانت معرضة للأسطول وقائمة بأسمائها والمدافع التي كانت بها
٤١	المدافع التي نقلت الى بعض هذه الحصون
٤٢ - ٤١	عدم جدوى المدافع القديمة والمدافع الصغيرة الحديثة في هذه الحرب والبرهان على ذلك
٤٤ - ٤٢	الاسطول البريطاني وقطعه الحربية
٤٣	قائمة بأسماء قطعه والمدافع التي كانت مسلحة بها

الصفحة	الموضوع
٤٤	زنة مدافعها التي عيار ١٦ بوصة
٤٤ - ٤٦	الموازنة بين السلاحين
٤٤	قائمة بعدد مدافع الحصون من ذات العيار الواسع وعيارها وزنها
٤٥	قائمة بعدد مدافع الاسطول من هذا العيار وعيارها وزنها
٤٥ - ٤٦	امتياز الاسطول على الحصون
٤٦	حامية الحصون
٤٦ - ٧٨	الحوادث التي سبقت الضرب والمكاتبات الرسمية التي تبودلت قبله
٤٧	برقية من الاميرال سيمور الى الاميرالية البريطانية .
٤٨	برقية من مستر كارتر ايت نائب قنصل جنرال انجلترا بمصر الى لورد جرانفيل وزير خارجيتها
٤٨	برقية من الاميرالية الانكليزية للاميرال سيمور
٤٩	برقية من الاميرال سيمور الى الاميرالية البريطانية .
٤٩ - ٥٠	قرار مجلس وزراء فرنسا بعدم مشاركة الاسطول الفرنسي للأسطول الانكليزي في الضرب
٥٠ - ٥١	برقية من مستر كارتر ايت الى لورد جرانفيل
٥١	برقية من الاميرال سيمور الى الاميرالية البريطانية
٥٢	مذكرة من قناصل الدول بالاسكندرية الى الاميرال سيمور .

الصفحة	الموضوع
٥٤ - ٥٣	الاجابة عليها من الاميرال سيمور
٥٤	تعليق على المذكرة والاجابة
٥٥ - ٥٤	بلاغ الاميرال الى قائد الاسكندرية الحربى
٥٥	رد القائد الحربى على هذا البلاغ
٥٦ - ٥٥	برقية الخديو توفيق للباب العالى
٥٧	برقية من الاميرال سيمور الى الاميرالية البريطانية
٥٨ - ٥٧	د مستر كارترايت الى وزير الخارجية البريطانية
٥٨	تعليق على هذه البرقية وأشارة الانكليز على الخديو بالنزول فى احدى بوارجهم وإجابته بالرفض
٦٠ - ٥٨	برقية من مستر كارترايت الى لورد جرانفيل
٦٠	رد لورد جرانفيل عليه ببرقية أخرى
٦٠	تعليق على مشورة الانكليز على الخديو وعلى اجابته
٦١	مذكرة من مستر كارترايت لقناصل الدول الجنرالالية بالاسكندرية
٦٢ - ٦١	خطاب منه الى المشير درويش باشا
٦٤ - ٦٢	جواب المشير درويش باشا على هذا الخطاب
٦٤	رسالة الاميرال سيمور الى قائد الاسكندرية الحربى
٦٥	دعوى الانكليز الخوف على أسطولهم من الحصون وقيمتها من الواقع والحقيقة
٦٥	شهادة رجل انكليزى ضد هذه الدعوى
٦٥	تعليق على هذه الشهادة

الموضوع	الصفحة
خطاب من مسنر كارترايت الى راغب باشا	٦٥ - ٦٦
طلب راغب باشا من قنصل ايطاليا التوسط في اجتماعه	٦٦
بسفراء الدول	
نصح سفيرا ايطاليا لراغب باشا بمقابلة الاميرال سيمور بنفسه	٦٦ - ٦٧
مقابلته وتلقى الانذار النهائى منه	٦٧
مساعيه لدى الاميرال في تلطيف شروطه	٦٧
عقد جلسة غير عادية من الخديو والوزراء والاعيان	٦٧ - ٦٨
الخ . . . لفحص الموقف	
ما قاله المشير درويش باشا في هذه الجلسة	٦٨
رأى مرعشلى باشا وقطعة من تقريره	٦٨ - ٧٣
رواية أخرى عما قيل في هذا الاجتماع	٧٣ - ٧٤
رد الحكومة المصرية على انذار الاميرال	٧٤ - ٧٥
خطاب من راغب باشا الى الاميرال سيمور	٧٥ - ٧٦
رد الاميرال على هذا الخطاب	٧٦
برقية من لورد جرانفيل الى سفراء انجلترا لدى الدول . .	٧٧ - ٧٨
برقية أخرى منه الى لورد دوفرين سفير انجلترا لدى الدولة العلية	٧٨
تعليق على هذه البرقية	٧٨ - ٧٩
الوسائل التي كان يمكن بها الخروج من هذا المأزق	٧٩ - ٨٠
الوسيلة الاولى	٧٩
الوسيلة الثانية	٧٩ - ٨٠

الموضوع	الصفحة
مواقع الحصون من موقف الأسطول	٨٠ - ٨٢
خريطة حصون الاسكندرية وقطع الاسطول البريطانى ..	بعد ٨٠
مناطق الحصون	٨٠ - ٨١
مواقف الأسطول الانكليزى	٨١ - ٨٢
انقسام مدرعات الأسطول الكبيرة إلى قسمين . .	٨١
القسم الأول - الأسطول الخارجى	٨١
القسم الثانى - الأسطول الداخلى	٨١
موقف سفن الأسطول الصغيرة	٨١ - ٨٢
الخطة التى رسمت لقسمى الأسطول ونتيجتها	٨٢
جدول يبين النسبة بين قوة الحصون وقوة الاسطول	٨٢
مقاله القومندان جودريتش عن هذه الموازنة	٨٣
حامية الاسكندرية	٨٣ - ٨٦
وحدات هذه الحامية	٨٤ - ٨٦
استعدادات القوتين المتحاربتين قبل الضرب	٨٦ - ٩٢
أوامر عرابى باشا للطوبجية	٨٧
أوامره للشاة	٨٨
أوامر الأميرال سيمور لقواد بوارجه وضباطها . .	٨٨ - ٩٢
تعليق على أوامر الأميرال واستنتاج	٩٢ - ٩٣
البدء بالضرب	٩٣ - ٩٤
حركات الاسطول الخارجى	٩٤ - ٩٧

الصفحة

الموضوع

٩٦ - ٩٥	مقاله القومندان جودريتش عن جنود المدفعية المصرية .
٩٧ - ٩٦	شهادة الكابتن ولتر جودسول لجنود مدفعية حصن الأطة وقائدهم
١٠٠ - ٩٨	حركات الأسطول الداخلى
٩٩ . .	شهادة الماچور تذك الجنود مدفعية حصن المكس
١٠٠	خسائر الانكليز من القتل والجرحى
١٠١	ما استهلكه الأسطول من الذخائر
١٠٢ - ١٠١	الأخبار التى كانت تذيبها جريدة الطائف
١٠٢	تعليق عليها
١٠٩ - ١٠٣	التلف الذى حل بالحصون
١٠٣	حصن السلسلة
١٠٣	قلعة قايتباى
١٠٤ - ١٠٣	حصن الأطة
١٠٥ - ١٠٤	الاسبالية
١٠٥	رأس التين
١٠٦ - ١٠٥	الفنار
١٠٦	صالح أغا
١٠٧ - ١٠٦	أم قبيبة
١٠٨ - ١٠٧	المكس
١٠٨	قلعة المكس

الموضوع	الصفحة
حصن الدخيلة	١٠٨
المرايط	١٠٩-١٠٨
العجمى	١٠٩
خسائر الاسطول	١١٠-١٠٩
المدرعة سلطان	١٠٩
المدرعة سوپر	١٠٩
المدرعة افكسييل	١٠٩
المدرعة الكسندرا	١١٠-١٠٩
المدرعة بنلوپ	١١٠
المدرعة انفلكسييل	١١٠
تقارير الاميرال سيمور عن ضرب الحصون	١٢٦-١١٠
التقرير الأول	١١٣-١١١
قائمة الاميرال سيمور بعدد قتلى الاسطول وجرحاء	١١٣
التقرير الثانى	١١٧-١١٤
التقرير الثالث	١٢٦-١١٧
بطولة رجال المدفعية المصرية	١٣١-١٢٦
شهادة الاميرال سيمور لهم	١٢٧
شهادة القومندان هنت جرب	١٢٧
شهادة القومندان جودريتش	١٢٨-١٢٧

الموضوع الصفحة

شهادة الماجور تلك	١٢٨-١٢٩
شهادة البارون دكيوزل	١٢٩-١٣٠
شهادة وكيل قنصل اليونان في الاسكندرية	١٣٠-١٣١
اثبات أسماء من عثرنا على أسمائهم من ضباط وجنود	١٣١-١٣٧
١ جى ألاى طوبجية سواحل	
نبذة عن بعض ضباط هذا الألاى	١٣٨-١٤٠
رجاء المطلعين عليها بتكملها وموافاتها بتاريخ حياة	١٣٨
من لم نعرف تاريخهم	
أمير الألاى اسماعيل بك صبرى	١٣٨
القائم مقام محمد بك نسيم	١٣٨
البكباشى سيف النصر افندى	١٣٨
الملازم الثانى احمد افندى فضلى	١٣٩
الملازم الأول محمد افندى لمعى	١٣٩-١٤٠

